جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص : لسانيات عربية

إعداد الطالب:
محمد معروفي

يوم:.....

أسلوب النهي في سورة الإسراء
دراسة بلاغية

لجنة المناقشة:

محمد الامين ملاوي	**أ. د.**	**جامعة محمد خيضر بسكرة**	رئيس
صفية طبني	أ. مح أ	**جامعة محمد خيضر بسكرة**	مقرر
زينب بوبقار	أ. مس أ	**جامعة محمد خيضر بسكرة**	مناقش

السنة الجامعية:2019 - 2020

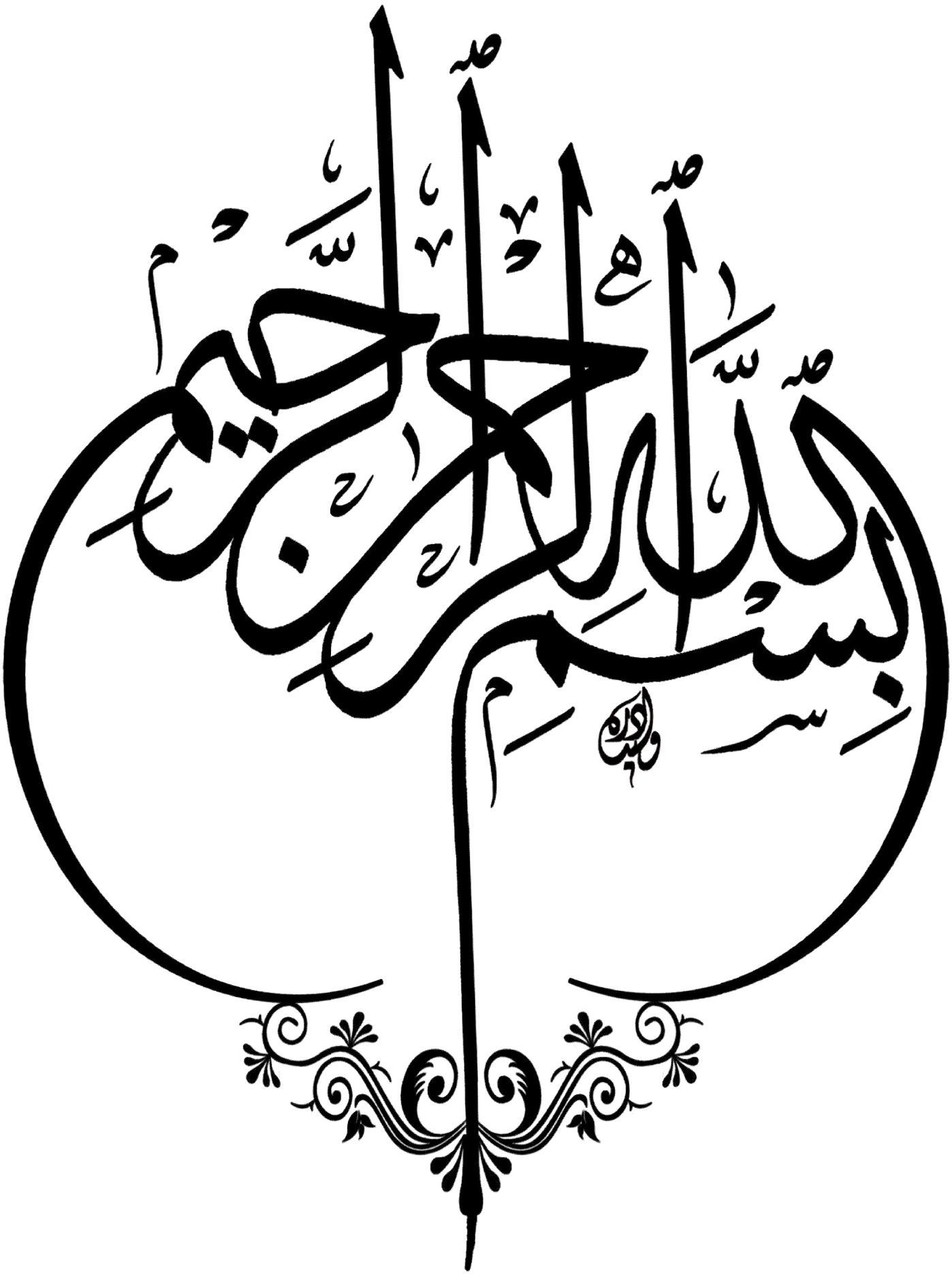
بسم الله الرحمن الرحيم

* آية قرآنية*

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

الإسراء: 88

* حديث نبوي شريف*

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:« من قرأ سورة بني إسرائيل فَرَقَّ قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة، والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية»

من تفسير الكشاف، ص 611

إهداء

إلى روح من كان لي أبلغَ مُربّ و معلّم

إلى من هي لي سندٌ ودفءٌ وملاذٌ

إلى والديَّ الكريمين ، أُهدي هذا العمل المُتواضع ، عاجزًا عن ردّ الجميل إليهما إلّا بقولي:

" ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيرًا "

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلّمه البيان، أحمده سبحانه على فضله وإحسانه، وأشكره على توفيقه وامتنانه، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله النبي الأمي، الذي أرسله ربّه هاديا ومبشرا ونذيرا بلسان عربي مبين، فكان أفصح من نطق بالضاد، واختُصر له الكلام اختصارًا، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الذين أخذوا عنه نهجه، وبلّغوا للأمة هديه، بما امتلكوا من فصاحة اللسان، وبراعة البيان، وسلّم تسليما كثيرا، أما بعدُ:

فإن لأسلوب الكلام معان لغوية وأخرى بلاغية، فالمعاني اللغوية دائمة الحضور، لأنها مستفادة من الصياغة الحرفية للأسلوب، أما المعاني البلاغية فقد تحضر لتزيد الكلام رونقا وجمالاً، وقد تغيب لتبقيه مباشرا صريحًا. وهذا التلوُّن في أسلوب الكلام ناتج عن طريقة نظمه، أو ما يُعرف بالسياق اللغوي، الذي يعكس مقاصد المتكلم، كما قد يعكس بعض ملامح السياق الخارجي، كحال المتلقي، أو زمان ومكان الكلام. ولا يتمتع بانعكاس هذه الصورة إلا البليغ الذوّاق لأساليب الكلام، بل إن افتتانه بجمالها يجعله يرى صورًا أخرى داخل هذه الصورة، وهي معانٍ أدقُّ مسلكا وأجود مأخذًا، تُعرف بالنُّكت أو اللطائف البلاغية.

وفي هذا السياق، جاءت هذه الأوراق البحثية الموسومة بـ :" أسلوب النهي في سورة الإسراء– دراسة بلاغية – " لتغرف من هذا المعين، ولتحاول الرجوع إلى الأصل، بربط العلاقة بين الدراسة القرآنية والبلاغة العربية، للتمتع بجمال الإعجاز وتلمُّس دلائله. وقد وقع الاختيار على هذه السورة بالذات، لأنها آية من آيات الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، بإحكام مبانيها، وانسياب معانيها، وتناغم فواصلها، كما أنها تتضمن عددا لا بأس به من النواهي.

وعند الحديث عن أسلوب النهي في سورة الإسراء يتبادر إلى الذهن سؤال محيّر هو: ما حقيقة أسلوب النهي في سورة الإسراء ؟ وما أسرار بلاغته ؟ أهي في طرق أدائه ؟ أم في مطابقته للسياق الخارجي ؟ أم فيما يترتب عنه من معانٍ لغوية أو بلاغية ؟ وفي معرض البحث عن إجابات لهذه الأسئلة، ستحاول هذه الدراسة التركيز على المعنى الحقيقي للنهي، وكيفية خروجه إلى معان بلاغية بحسب المقام ، على اعتبار أن أسلوب

النهي فرع من علم المعاني الذي يُعنى بتتبُّع خواص تراكيب الكلام في إفادة المعنى المراد.

وقد تطلّبت الأسئلة السابقة تقسيم البحث إلى مدخل وفصلين؛ حيث تناول المدخل علاقة الأسلوب بكل من البلاغة والنهي، وذكَر بعض خصائص الأسلوب القرآني ، فيما خُصّص الفصل الأول للحديث عن أسلوب النهي وأغراضه البلاغية بصفة عامة، فجاء في ثلاثة مباحث: عرض المبحث الأول مفهوم النهي من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، إضافة إلى صيغته، وتناول الثاني الشروط الواجب توفرها ليكون معنى النهي حقيقيا، فيما عالج المبحث الثالث الأغراض البلاغية التي يمكن أن يخرج إليها أسلوب النهي، وعلاقة ذلك بشروط إجرائه على معناه الحقيقي.

أما الفصل الثاني فقد تطرق إلى بلاغة أسلوب النهي في سورة الإسراء ، من خلال ثلاثة مباحث أيضا: حيث دار الحديث في المبحث الأول عن مقاصد سورة الإسراء، لما لها من أهمية في الكشف عن المعاني المختلفة لأسلوب النهي ، ثم انتقل إلى تنوع صيغة النهي في السورة وأسباب ذلك، ثم تلاه المبحث الثاني، والذي قدّم لنا إحصاءً لمدى توفر شروط إجراء النهي على معناه الحقيقي في كل آية يرد فيها، مع التعليق على ذلك، لينتهي الفصل بمبحث ثالث تضمن الأغراض البلاغية لأسلوب النهي في السورة، و علاقتها بمعناه الحقيقي، مع إمكانية اجتماع أكثر من معنى بلاغي على أسلوب نهي واحد ، ثمّ ذُيّلت هذه الدراسة بخاتمة جمعت خلاصتها ونتائجها.

وبُغية تحليل هذه العناصر والوصول إلى نتائج واضحة، اتّكأ البحث على مجموعة هامة من المصادر والمراجع منها: مفتاح العلوم للسكاكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة لحسام أحمد قاسم، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم لصباح عبيد دراز، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم لمحمود توفيق محمد سعد...إلخ.

وفي غمرة هذه الدراسة كان لابد من اعتماد الوصف والتحليل لأسلوب النهي في كل آية ورد فيها، مع إحصاء صيغه وأساليبه التي توفرت فيها شروط إجرائه على معناه الحقيقي، ثم التعليق على كل ذلك، وربطه بتفسير الآيات خاصة، وبمقاصد السورة عامة،

لذلك غلب على البحث المنهج " الوصفي التحليلي " ، مع اعتماد الإحصاء فيما تعلّق بصيغ النهي ، و شروط إجرائه على معناه الحقيقي في السورة.

وكأيّ عمل بحثي- بوصفه جهدا بشريا ومحاولة لتقريب الحقيقة- لم تخْلُ مسيرة هذا البحث من بعض الصعوبات التي أملتها ظروف إنجازه، وطبيعة مادته، بوصفه فرعا من الدراسات القرآنية التي تحتاج إلى مزيد تدقيق وعناية، لأن فيها تعاملا مع كلام الله عزّ وجلّ.

ومع ذلك فقد تم- بعون الله وتوفيقه- إنجاز هذا العمل المتواضع، الذي نسأل الله أن يكون خالصا لوجهه الكريم، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أُجْزل عبارات الشكر والثناء لأستاذتي المشرفة الدكتورة " **صفية طبني** " على خالص نصحها وجميل صبرها، كما أشكر الدكتور "**باديس لهويمل** " الذي زوّدني بمرجع من أهم مراجع هذا البحث.

ولا أنسى كل من ساعدني أو ساندني ولو بكلمة طيبة

و" الكلمة الطيبة صدقة ".

مدخل:

البلاغة والأسلوب القرآني

سنتحدث في هذا المدخل- إن شاء الله تعالى- عن البلاغة، على اعتبار أن هذه الدراسة بلاغية، كما سنشير إلى مفهوم " الأسلوب "، لما له من علاقة وطيدة بموضوع البحث ، ثم نُعرّج بعد ذلك على الأسلوب القرآني وبعض مميزاته، لأن الجانب التطبيقي من الدراسة سيكون حول سورة الإسراء، فنقول- وبالله التوفيق-:

ليس مهما في هذا المقام إعطاء تعريف للبلاغة، بقدر ما يهمنا أن نعرف الغاية من وراء تعلمها وتعليمها، فعندما يتردد لفظ " البلاغة "، تتبادر إلى الذهن مصطلحات كثيرة: منها " التمكن"؛ وله علاقة بالمتكلم من حيث امتلاكه لناصية اللغة، وتلاعبه بمفرداتها، ومنه" الملاءمة"؛ وترتبط أساسا بالموقف الكلامي أو ما يسمى بالمقام، ونجد كذلك مصطلح "الجمال "؛ وينصبُّ على العبارة أو النص وما له من جرس موسيقي وتأليف مُحكم.

وإذا ما جمعنا معاني هذه المصطلحات الثلاث، ظهر لنا جليا المقصود من البلاغة، والدور الذي تضطلع به، ولعل هذا ما يمكن أن نَستَشفّه من الذكر الحكيم في قوله تعالى مخاطبا نبيّه الكريم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[1]، «.... فكلمة (بليغ) جاءت صفة للقول، وهذا القول ينبغي أن يكون لهم في أنفسهم »[2]. وهنا نعثُر على دور جوهريّ للبلاغة، ألا وهو التأثير في النفوس بُغية الإقناع. ولكن ،كيف يكون هذا التأثير؟ وبم يكون؟

إنه قول مؤثر في النفس لأن له هدفا يسعى إليه، وغرضا يتكئ عليه، وهذا ما يورده صاحب " البلاغة فنونها وأفنانها " في تعقيبه على الآية السابقة، إذ يقول: « ونفهم من النص الكريم أن البلاغة إنما تكون أول ما تكون في القول الذي لقائله هدف منه، وأن هذا القول ينبغي أن يكون مؤثّرا في النفوس، يفتح أبوابها، ويُهزُّ جوانبها، ولن يكون كذلك إلا إذا كان متلائما متسقا متفقا مع المخاطبين المتحدث إليهم »[3].

وهذا شرط آخر للتأثير في النفوس- كما يتبين من العبارة الأخيرة للباحث- ألا وهو الملاءمة مع المخاطبين؛ ومعناه أن يتناسب الكلام مع حالتهم النفسية والاجتماعية والثقافية، أي مع " المقام" الذي يقال فيه، وبتعبير البلاغيين القدامى: " مطابقة مقتضى الحال "،

---

[1] سورة النساء، الآية:63

[2] فضل حسن عباس ،البلاغة فنونها وأفنانها ، ص19.

[3] المرجع نفسه، ص20.

وهــو لُبُّ البلاغــة، لأن « بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف... وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي...»[1]، وخطاب الأديب يباين خطاب العاميّ، وخطاب علية القوم يباين خطاب أسافلهم وهكذا.

ثم إذا ما عدنا للإجابة عن السؤل الثاني، وجدنا أن تأثير القول في النفوس يكون- أيضا- بحسن تأليفه، وجودة صياغته، ودقة تعبيره عن المعنى المراد، فليست البلاغة إلا «... لفظا ومعنى وتأليفا للألفاظ يمنحها قوة وتأثيرا وحسنا، ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته، وحال السامعين، والنزعة النفسية التي تتملكهم وتسيطر على أنفسهم...»[2]. ومعنى هذا أن اختيار الكلمات المعبرة عن المعاني المقصودة، وحسن ترتيبها بما يتناسب مع تلك المعاني، وموضوع الحديث، وحال السامعين، هو سر بلاغة الكلام وجماله.

ومن المؤكد أن التحسُّس لمواطن هذا الجمال، والبحث عن الأدوات التي تصقله، لطالما التصقا بالبلاغة، حتى غدت من ورائهما فنا « يقف عند حدود البحث في مظاهر الجمال الحسي والمعنوي في المفردات والجمل...»[3]. وعلى هذا، يُجمع أئمة البلاغة قديما وروّادها حديثا أن للبلاغة « غاية واحدة، وهي الوقوف على وجوه جمال التعبير، ومعرفة أسرار الجمل والتراكيب »[4]، ومن الجميل المختصر في ذلك، ما تُنوقِل من أن « البلاغة: فن التعبير »[5]، ولكنها فن له أدواته الخاصة، وهي كثيرة كـ «... الموهبة، وصفاء الاستعداد، ودقة إدراك الجمال، وتبيّن الفروق الخفيّة بين شتى الأساليب...»[6].

هذا عن البلاغة، أما مصطلح "الأسلوب" فقد اختُلف في تعريفه لأنه يشمل عدة مجالات، ولكن الأسلوب الذي يعنينا هنا هو " أسلوب الكلام "، ولا أسوق من تعاريفه إلا ما

---

[1] عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج1، ص20،21.

[2] علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة- البيان والمعاني والبديع- ، ص9.

[3] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص17.

[4] بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ص3.

[5] أم الخير سلفاوي، البعد التداولي في البلاغة العربية من خلال " مفتاح العلوم " للسكاكي ، ص53.

[6] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص10.

يخدم موضوعنا، وهو كثير، لذلك آثرت أن يقع الاختيار على ما يُجلي العلاقة بينه وبين مصطلح " البلاغة " من جهة، وبينه وبين مصطلح " النهي " من جهة ثانية.

فبالنظر إلى علاقته بالبلاغة، يمكن القول أن «... الأسلوب هو الفن، وأساليب القول أفانينه...»[1]، فإنك ترى في هذا التعريف أن القاسم المشترك بينهما هو الفنية والجمالية. وفي تعريف آخر نجد أن الأسلوب هو «... الطريقة الخاصة في ترتيب المعاني، وما تحويه هذه الطريقة من إمكانات نحوية تميز ضربا عن ضرب، وأسلوبا عن أسلوب »[2]. ويلتقي الأسلوب مع البلاغة في هذا التعريف في نقاط أساسية أبرزها:

- ترتيب المعاني في النفس.
- ترتيب الكلمات في النظم بما يتوافق مع تلك المعاني.
- التميّز والتفرد،و التغيّر، بحسب قدرة المتكلم، وحال المخاطب، وطبيعة الموقف.

وفي تعريف ثالث، يرتبط الأسلوب مع البلاغة من حيث ملاءمة التعبير لموضوع الكلام، والتأثير في نفوس السامعين، من خلال الصياغة الجيدة المتوخية للمعاني المقصودة، فانتبه– رعاك الله– « واعلم أنه يحسُن أيضا بطالب البلاغة أن يعرف شيئا عن الأسلوب، الذي هو المعنى المصُوغ في ألفاظ مؤلَّفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعلَ في نفوس سامعيه...»[3]. وبينما نواصل سرد هذه التعاريف، يقترب الأسلوب أكثر من البلاغة، فهو –كما يبدو– جزء لا يتجزأ منها، بل لعله أهم عناصرها، لأنه الجامع بين الألفاظ والمعاني، وبالتالي فهو مصدر القوة والجمال في الكلام. ومما يؤيد ذلك أن البلاغة ليست «... منحصرة في إيجاد معان جليلة، ولا في اختيار ألفاظ واضحة، بل هي تتناول مع هذين الأمرين أمرا ثالثا، هو إيجاد أساليب مناسبة للتأليف بين تلك المعاني والألفاظ، مما يكسبها قوة وجمالا »[4].

وإذا كانت أهم نظرية في البلاغة العربية هي نظرية " النظم "، فإن للأسلوب تعالقا معها بشكل أو بآخر، بل إن بعضهم قد ساوى بينها وبينه، كما فعل "يحي بن حمزة العلوي"، وله نص في ذلك علّق عليه الباحث "محمد عبد المطلب" قائلا: « ويتضح من هذا النص

---

[1] محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة– البديع والبيان والمعاني– ، ص37.

[2] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص26.

[3] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص44.

[4] المرجع نفسه، ص 41،42.

أن الأسلوب صورة تتمثل فيها العلاقات النحوية من حيث تركيب الجملة، على الصورة التي قال بها عبر القاهر الجرجاني، ومن حيث أن لكل أسلوب طريقته الخاصة في استخدام هذا النحو في الشعر والنثر على سواء »[1]، ومما سبق يمكن القول أن علاقة الأسلوب بالبلاغة هي علاقة الجزء بالكل.

وأما بالنظر إلى علاقته بالنهي، فهي علاقة الكل بالجزء ،أي أن الأساليب متنوعة ومختلفة، وأسلوب النهي واحد منها. ولكنه يختلف عن غيره من الأساليب، لأنه في النهاية أسلوب، وبالتالي فهو يأخذ خصائص الأسلوب التي من جملتها التميز والتفرد، ويظهر ذلك جليا في صيغته المتمثلة في المضارع المقرون بـ " لا " الناهية، كما أنه متعدد من ناحية الأمور التي يمكن أن يُنهى عنها،وهو –بعد ذلك–متغيّر من حيث المعاني التي يعبّر عنها أو يخرج إليها، كالتحريم، الدعاء ، الكراهة أو التمني ...إلخ ، وما يمكن أن يكون بينها من تشابه أو اختلاف ، سواء في مقامات توليدها ، أو أثناء توظيفها و استعمالها ، وفي هذا مكمن الحسن وغاية الإبداع.

ولا أزيدُ ، فلهذا القول مكانه من البحث، وإنما أقول مختصرا أن الفيصل في هذا التنوّع والإبداع يعود أساسا إلى مقصد المتكلم وقدرته، وحال السامع ودُربته، ومقام التخاطب وصورته، فمتى اتحدت هذه العناصر ورُوعيت حق رعايتها، رأيت من بلاغة أسلوب النهي عجبا.

وستعجب أكثر إذا تأملت الأسلوب القرآني الذي أعجز العرب على أن يأتوا بمثله، وهم أئمة البلاغة وأرباب الفصاحة، مع أنه من جنس كلامهم، فهذا الأسلوب هو أعلى مراتب البلاغة، وقد تحدى الإنس والجن في كل زمان ومكان على أن يأتوا بمثله، فلم ولن يستطيعوا، قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَنْ يَّاتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لاَ يَاتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾[2]. هذا الإعجاز هو ما دفع علماء البلاغة إلى البحث عن سرّه، أهو في اللفظ ؟ أم في المعنى ؟ أم في

[1] محمد عبد المطلب، البلاغة و الأسلوبية ، ص18،19.

[2] سورة الإسراء، الآية:88.

الأسلوب ؟ وهل تراه يكون في مراعاة مقتضى الحال ؟ أم في الإخبار بالغيب، أم في خصوصية أسلوبه عما عرفته العرب في سنن كلامها ؟ أم في غير ذلك ؟

وعلى هذا الأساس ،كان علم البلاغة من بين العلوم «... أجلها شأنا، وأبينها تبيانا، إذ هو الكفيل بإيضاح حقائق التنزيل، وإفصاح دقائق التأويل، وإظهار دلائل الإعجاز، ورفع معالم الإيجاز...»[1]، وخاصة ما تعلق بالأسلوب، وهو النّظم القرآني، الذي تبقى له خصوصيته، فهو «... على تصرّف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميّز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد... ويبقى علينا أن نبيّن أنه ليس من باب السجع، ولا فيه شيء منه، وكذلك ليس من قبيل الشعر... فهذا إذا تأمله المتأمِّل تبيّن- بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم-، أنه خارج عن العادة، وأنه مُعجز. وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميّزٌ حاصل في جميعه »[2].

كما أن من أسرار الإعجاز البلاغي لأسلوب القرآن الكريم- والذي له علاقة كبيرة بموضوعنا- مراعاته لمقتضى الحال، ونعني به حال السامع النفسية أو الفكرية أو الاجتماعية، إضافة إلى مقام التخاطب وما يكتنفه من معطيات ومستجدات. فالقرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، ولكنه في الوقت ذاته نزل في زمان ومكان محددين، وبين أشخاص معيّنين، وفي بيئة معلومة، فكان لابد مع مراعاة جميع ذلك، مراعاة ما يناسب موضوعات الكلام، كأن يكون المقام مقام ترغيب، أو ترهيب، أو تذكير...إلخ، فلكل منها ما يناسبه من الأساليب، فـ «... بقدر رعاية المناسبات والأغراض التي يُصاغ لها الكلام، واعتبار تلك الخصوصيات ليطابق الكلام المشتمل عليها تلك الأغراض، يرتفع شأن الكلام حسنا وقبولا، ولذا كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت المقتضيات والاعتبارات. ومن هنا كان القرآن الكريم في الدرجة القصوى منها، لِما أن الله عالم بكميات الأحوال وكيفياتها، فاشتمل كلامه في كل مقام على جميع مقتضيات الأحوال التي له في نفس الأمر، لِما أنه عالم بجميعها، ورُوعيت كلها حق المراعاة...»[3].

---

[1] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص13.

[2] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص16،17.

[3] بدوي أحمد طبانة، معجم البلاغة العربية، ص84،85.

فهذان أمران مهمان من جملة أسرار الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم؛ أحدهما: خصوصية أسلوبه بخروجه عن المعهود من نظام كلامهم، والآخر: مراعاته لأغراض الكلام، وأحوال السامعين، ومقامات التخاطب، ناهيك عن الحكمة التي تضمنها، من الصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام، والدعوة لمكارم الأخلاق، لتحقيق الكمال الإنساني، مما لا يدع مجالا للشك أنه كلام الله المعجز ببلاغته التي « لا تزال بكرا، في حاجة إلى جهود الباحثين للكشف عن خصائص نظمه، وأساليبه البليغة »[1]التي تقطع الطريق أمام كل إبداع، لأن لها الكلمة العليا في الإبداع والإقناع.

[1] يوسف عبد الله الأنصاري، أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، ص3

الفصل الأول:

أسلوب النهي وأغراضه البلاغية

1. مفهوم النهي .
2. شروط إجراء النهي على معناه الحقيقي .
3. الأغراض البلاغية لأسلوب النهي .

1- مفهوم النهي

1-1- تعريفه:

من المعلوم أن البلاغة العربية تنقسم إلى ثلاثة علوم وهي: المعاني، والبيان، والبديع؛ وتندرج تحت " علم المعاني " ثمانية مباحث، منها : " الإنشاء "، وهذا الأخير يتفرع عنه " الإنشاء الطلبي " الذي يتضمن خمسة أساليب، والنهي واحد منها.

« وقد اهتم البلاغيون وكذا النحاة العرب بصيغ الأساليب الإنشائية عمومًا، ولاسيما صيغ الأمر والنهي، باعتبارهما أظهر في الدلالة على الإنشائية، وبما تحمله الصيغتان من دلالات وإفادات...»[1]. ولعل القصد من وراء ذلك أن صيغة النهي أقوى في الدلالة على الطلب وأوضح، إذا ما قورنت بالاستفهام أو التمني أو النداء، عِلاوة على أن صيغتي " افعل " و" لا تفعل " متعلقتان- أكثر من غيرهما- بالحلال والحرام، وهما أساس الأحكام الشريعة التي هي مناط التكليف.

1-1-1- لغة:

جاء في " أساس البلاغة " في باب الهمزة، مادة " أمر ": « أمر: إنه لأَمورٌ بالمعروف، نَهُوٌّ عن المنكر»[2]. وكلمة " نَهُوٌّ " هي صيغة مبالغة عن وزن (فَعُولٌ)، دلالة على كثرة نهيه عن المنكر، واسم الفاعل منه (ناهٍ)، و الجمع : " نُهاةٌ ".

وفي " أساس البلاغة " أيضا في باب النون، مادة " نهي ": « نهي: نهاه فانتهى. وتناهَوا عن المنكر. وانتهى الشيء: بلغ النهاية... ولا يَنتهي حتى يُنتهى عنه. وروى بنو حنيفة أهاجِيَّ الفرزدق في جرير فأحفظوه فاستنهاهم، أي قال لهم: انتهوا. وهذا مُنتهى الأمر ونهايته ومَنهاتُه... وهم أمَرَةٌ بالمعروف نُهَاةٌ عن المنكر، وهو نَهُوٌّ عن الشر... وما ينظر في أوامر الله ونواهيه...»[3].

وتجدر الإشارة هنا إلا أن النهي قسيم الأمر ورديفه، ولا أدلّ على ذلك من التعريفين السابقين، وهذا ما دفع البعض إلى القول أن « معنى النهي في اللغة: خلاف

---

[1] أم الخير سلفاوي، البعد التداولي في البلاغة العربية من خلال " مفتاح العلوم " للسكاكي، ص86.

[2] الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص33.

[3] المرجع نفسه، ج2، ص314.

الأمر، وهو المنع والزّجر»[1]. وعلى ما يبدو أن العلاقة بين الأمر والنهي تتعدى المعنى اللغوي إلى أمور أخرى، يمكن أن نتبينها في ثنايا هذا البحث.

ومما ورد من التعاريف اللغوية أن النهي هو « المنع؛ يُقال نهيتُ الرجل عن الأمر أنهاه نهيا، أي: منعتُهُ، أو أمرتُه بالكف عنه...»[2]. فالنهي عن الفعل- إذا- هو أمر بضده، وهذا يؤكد ما سبق من العلاقة بين النهي والأمر، فقولك لأحدهم: (لا تتحرّك)، هو بديل عن قولك له: (أُثبُت) أو (أُسكُن).

والمتدبر لآيات الذكر الحكيم- وهو أعلى مراتب البلاغة- لا يفتأ أن يجد مادة "نهي " في مواضع مختلفة منه، فمنها قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[3]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[4]، وقوله عزّ من قائل حكاية عن قوم صالح: ﴿ أَتَنْهَانَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾[5]، وكلها تدخل في دائرة المنع والكف والزّجر، وهناك غيرها من الآيات، ولكن حسبنا هذه على سبيل المثال لا الحصر.

ومجمل القول أن الألفاظ الدالة على النهي- على اختلافها- تسبح كلها تقريبا في فلك واحد، وهو المنع والكف والترك.

1-1-2- اصطلاحا:

لا يوجد فرق كبير بين الناحية اللغوية والاصطلاحية في تعريف النهي؛ فكتب البلاغة تُجمع- أو تكاد- على تعريف النهي، مع اختلاف في بعض الجزئيات. وسنورد فيمايلي بعض التعريفات محاولين استجلاء الفروق بينها:

ونبدأ بتعريف العلامة " ابن عثيمين " في كتابه " الأصول من علم الأصول "، والذي نقله الباحث " خالد بن محمد بن عويد القناوي "، حيث قال- رحمه الله-: « النهي:

---

[1] عبد الحميد دايم، الأمر والنهي وأثرهما في الأحكام الشرعية، ص71.

[2] خالد بن محمد بن عويد القناوي، صيغ الأوامر والنواهي ودلالتها الأصولية في سورة النور، ص 17.

[3] سورة المائدة، الآية:79.

[4] سورة آل عمران، الآية:110.

[5] سورة هود، الآية:62.

قول يتضمن طلب الكف على وجه الاستعلاء، بصيغة مخصوصة هي المضارع المقرون بلا الناهية، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَتَّبِعَ اَهْوَآءَ ٱلذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَالذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالاَخِرَةِ ﴾[1]، فخرج بقولنا: (قول) الإشارة، فلا تسمى نهيا وإن أفادت معناه، وخرج بقولنا: (طلب الكف) الأمر، لأنه طلب فعل، وخرج بقولنا: (على وجه الاستعلاء) الالتماس والدعاء وغيرهما، مما يستفاد من النهي بالقرائن، وخرج بقولنا: (بصيغة مخصوصة هي المضارع...إلخ) ما دل على طلب الكف بصيغة الأمر، مثل: دَعْ، أُترُك، كُف ونحوها، فإن هذه وإن تضمنت طلب الكف، لكنها بصيغة الأمر فتكون أمرا لا نهيا »[2].

وقد جاء في تعريف النهي أنه « طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وليس له إلا صيغة واحدة وهي: المضارع مع (لا) الناهية، نحو: ﴿ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِى ٱلاَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾[3]، ومدلوله طلب الكف عن الفعل فورًا، كما يُستفاد من تتبع فصيح التراكيب »[4]. ومعنى "الاستعلاء": أن يكون في طلب الكف عن الفعل شدّة وغِلظة من الناهي، لأنه أعلى منزلة من المنهي، أو يعتقد ذلك في نفسه. وأمّا أنه يكون "فورًا "، فلأن المنهي مطالب بالامتثال بصورة عاجلة، بترك ما نُهي عنه مباشرة بعد تلقي النهي، والآية السابقة خير مثال على ذلك.

كما يمكن القول أن النهي « هو كل أسلوب يُطلب به الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، فيكون من جهة عُليا ناهية، إلى جهة دُنيا منهية، وله صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بـ (لا) الناهية، كقولك: لا تصاحب الأشرار، لا تفعل السُّوءَ، لا تَكُفَّ عن البذْلِ والعطاءِ »[5]. فالنهي طَلب للكف عن الفعل (المنهي عنه)، يحتاج إلى طالب هو (الناهي)، يكون أعلى منزلة من المطلوب منه (المنهي). ولعلك لاحظت أن هذا التعريف قد أضاف حدًّا جديدًا للنهي وهو " الإلزام "؛ ذلك أن " المنهي " مُلزَم ومُجبَر

---

[1] سورة الأنعام، الآية:150.

[2] مرجع سابق ، ص17،18.

[3] سورة الأعراف، الآية:85.

[4] مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص79.

[5] بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ص371.

على الكف عن الفعل " المنهي عنه "، وليس مخيّرًا في ذلك. ويَبدو أن هذا الإلزام راجع إلى استعلاء الناهي من جهة، وما يسببه الفعل المنهي عنه من ضرر أوفساد أو إساءة للمنهي من جهة، وطبيعة العلاقة بين الناهي والمنهي من جهة ثالثة.

فلو قال الأب لابنه الذي لم يبلغ العاشرة بعد: (لا تصاحب الأشرار) أو (لا تفعل السّوء)، فالناهي هو " الأب " ،والمنهي هو " الابن "، والفعل المنهي عنه هو " مصاحبة الأشرار " أو " فعل السوء ". والولد في هذه الحالة مُلزمٌ بالطاعة والامتثال لما طُلب منه، دون تأخير أو تباطؤ، لأن طلب الكف عن الفعل صدر من أبيه الذي هو أعلى منزلة منه، كما أن الفعل المنهي عنه والمتمثل في " مصاحبة الأشرار " أو" فعل السّوء" ، فيه إساءة للولد وضرر له، وأبوه أدرى بمصلحته.

ولكن، قد يقول قائل: بما أن النهي هو طلب الكف عن الفعل على سبيل الاستعلاء، فالإلزام تحصيلٌ حاصلٌ، فلم نؤكد عليه ؟ وهل هناك نهي مع التخيير ؟ والجواب: نعم. فإن علماء البلاغة والراسخين فيها يستنبطون ذلك من تعاريف النهي المبثوثة في أمهات الكتب، والتي تنص على أن «... النهي محْذُوٌّ به حَذْوَ الأمر في أن أصل استعمال (لا تفعلْ) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب...»[1]. ويتضح من هذا النص أن الاستعلاء هو الأصل، فإن غاب، غاب معه الإلزام ،وأصبح النهي مجرد طلب للترك، مفتوح على عدة احتمالات للمعنى بحسب المقام. وفي ذات السياق يعلق الباحث " حسام أحمد قاسم " على النص السابق قائلا: «... أي أن التعريف السابق ينطبق على النهي على سبيل الإلزام، والنهي على سبيل التفضيل دون حتم »[2].

وما قيل عن " الإلزام " يمكن أن يُقال عن " الفور "، لأن « الأمر والنهي حقهما الفور، والتراخي يُوقَف على قرائن الأحوال لكونهما للطلب، ولكون الطلب في استدعاء تعجيل المطلوب أظهر منه في عدم الاستدعاء له عند الإنصاف... ومما ينبّه على ذلك تبادر الفهم...»[3]. فالذي يتبادر إلى الذهن عند سماع جملة من قبيل: (لا تكتب

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص320.

[2] حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، ص82.

[3] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الدّرس)، هو ضرورة ترك كتابة الدرس، وفي الحال، لأنه الأقرب إلى الفهم، والأوضح في الدلالة، ومع ذلك ،فالتراخي في ترك المنهي عنه وتأخيره وارد، خاصة مع وجود قرائن الأحوال– وما أكثرها– التي تصرف المعنى من الفور إلى التراخي، ومن بين هذه القرائن– كما أسلفنا– غياب الاستعلاء.

والنهي بحسب إفادته للوجوب حقيقة في التحريم، فهو كما قيل: « طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام، ويكون لمن هو أقل شأنا من المتكلم، وهو حقيقة في التحريم، فمتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور »[1]. والتحريم من الأحكام الشرعية التي تُكلّف العباد بالابتعاد عن أقوال أو أفعال سيئة، فكان التعبير عنه بالنهي لتوافقهما في معاني الابتعاد والامتناع والترك، ومنه ندرك أن «... النهي عن الرذائل مطلقا، حسية أو نفسية، إنما هو نهي وحظر على الحقيقة، وقد استفاض النهي عن ذلك في القرآن، كوصايا لقمان، وآيات الحكمة، والوصايا في سورة الأنعام وغير ذلك»[2]. وعندما نقول أن (النهي حقيقة في التحريم) فهذا لا يعني أن (حقيقة النهي هي التحريم)، بل هي « أعم وأوسع من ذلك، لأن النهي طلبٌ، والطلب أعم من التحريم أو الكراهة أو غيرهما »[3]، وإنما المعنى أن النهي يكون بمعناه الحقيقي المتضمن للاستعلاء والإلزام والفور إذا صادف تحريما؛ أي كان نهيا عن رذائل، وإلا أفاد طلب الترك فحسب، وخرج بذلك إلى معان بلاغية ليس هذا أوان ذكرها.

ويبقى أن نشير إلى أن حقيقة النهي في الوحيين– القرآن والحديث– لها خصوصية لا توجد في غيرهما من الكلام ، وبهذا يكون للنهي حقيقتان: حقيقة في بيان الوحي، وأخرى في غيره، «... فحقيقته في بيان الوحي: القول الطالب كفًّا مُمكنا مُرادا عن فعل ممكن، مدلول على ذلك بصيغة (لا تفعل) ونحوها، وحقيقته في غير بيان الوحي: القول الطالب استعلاءً الكفَّ الممكنَ المُرادَ عن فعل ممكن... وغير خفي فرق ما بين الحقيقتين؛ في الأول علو الطالب واستعلاؤه ضرورة، فلم تنص عليهما في التعريف، وفي الثاني العلو غير مطلوب والاستعلاء ليس ضرورة عقلية، فكان النص عليه في التعريف

---

[1] محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة– البديع والبيان والمعاني–، ص289.

[2] صبّاح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص68.

[3] ينظر: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ص470.

ضرورة »[1]. ومن الواضح أن الفرق بين الحقيقتين يكمن أساسا في"العلو" و" الاستعلاء"؛ فهما قد يجتمعان حقيقة في النهي الوارد في كلام الله ورسوله، أما في غيره، فالعلو– وإن وُجد– لا يمكن أن يكون حقيقة، والاستعلاء لا يمكن التفطن له إلا في ظروف مقامية، يتّحد فيها السياق الخارجي مع السياق اللغوي. وسيأتي بيان الفرق بين "العلو"و"الاستعلاء" عند الحديث عن شروط إجراء النهي على الحقيقة.

1-2- صيغته:

يتميّز النهي عن غيره من أساليب الطلب في أن له صيغة واحدة تدل عليه، وتتمثل أساسا في " لا " الناهية الجازمة مع " الفعل المضارع "، وهي «... صيغة تدل عليه بالوضع اللغوي حقيقة... وهي (لا تَفْعل) للمفرد المذكر ولغيره، بإضافة علامته الخاصة به، من تاء التأنيث وأنواعها، أو ألف المثنى، أو واو الجماعة »[2]. والمقصود بـ " الوضع اللغوي حقيقة "، أن هذه الصيغة صريحة الدلالة على النهي، لأن معناه الأصلي وهو "الكف عن الفعل "يُفهم منها مباشرة، دون لبس، أو خلاف، أو تأويل.

وصيغة النهي تكون مع ضمائر المخاطب؛ فنقول: (لا تفعلْ) للمفرد المذكر، و(لا تفعلي) للمفرد المؤنث، و(لا تفعلا) للمثنى المذكر أو المؤنث، و(لا تفعلوا) لجماعة الذكور، و(لا تفعلْنَ) لجماعة الإناث. فمثالها مع المفرد المذكر: (لا تجلسْ معنا)، ومع المفرد المؤنث، (لا تخوني الأمانة)، ومن أمثلتها مع المثنى قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ لاَ تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[3]، وتقول لجماعة الذكور (لا تطيعوا كل حلاّف مَهين)، ولجماعة الإناث (لا تعْصِين الله ورسوله).

وقد ترد صيغة النهي مع ضمير الغائب، ومن ذلك ما نقله الباحث " يوسف عبد الله الأنصاري " عن " ابن الشجري " في تعريف النهي قوله: « النهي هو المنع من الفعل بقول مخصوص مع علو الرتبة، وصيغته (لا تفعل) و(لا يفعلْ فلان) »[4]. ويُمثّل الباحث " محمود توفيق محمد سعد " لهذه الصيغة بعد أن يقدّم شرحا لها إذ يقول: « وقد

---

[1] محمود توفيق محمد سعد، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، ص15.

[2] عبد الحميد دايم، الأمر والنهي وأثرهما في الأحكام الشرعية، ص73.

[3] سورة طه، الآية:46.

[4] يوسف عبد الله الأنصاري، أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، ص277.

يكون مدخول (لا) الناهية لمضارع رافع ضمير غائب أو اسما ظاهرا إذ هو في قوة الضمير الغائب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ ٱلْمُومِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُومِنِينَۖ وَمَن يَّفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] »[2]. فالفعل المضارع الذي تدخل عليه (لا) الناهية قد يكون رافعا ضمير مخاطب أو ضمير غائب، لذلك يمكن القول أن دلالة النهي ليست مستفادة من الفعل المضارع بقدر ما هي مستفادة من حرف النهي الجازم " لا "، ومما يؤيد هذا الكلام أن بعض تعاريف النهي– في أمهات كتب البلاغة– لا تذكر الفعل المضارع، وإنما تكتفي بذكر حرف النهي "لا "، وإن شئت فخذ تعريف " السكاكي " للنهي، حيث يقول: « للنهي حرف واحد وهو " لا " الجازم في قولك: (لا تفعلْ)...»[3]. ومثله تعريف " ابن الناظم " الذي مفاده أن: « النهي (وهو) اصطلاحا: ما قُرن بلا الجازمة...»[4]، وهناك غيرهما كثير.

والملاحظ أن التعريفين الأخيرين يُركزان على خاصية الجزم في حرف النهي" لا" ، وذلك «... احترازا عن (لا) غير الجازمة »[5]، فهذا الحرف يجزم الفعل المضارع الذي بعده، وهو « يجزم فعلا واحدا »[6]، نحو قولك: لا تلعبْ بالنّار.

هذا فيما يخص صيغة (لا تفعلْ)، و(لا يفعلْ فلان). وأمّا ما ذكره البعض من أن للنهي صيغا أخرى، كأسماء الأفعال مثل (صَهْ، مَهْ)، وأفعال الأمر الدالة على الكف والترك مثل: (كُف، أُترُك، دَع، ذَر، اجتنب...)، أو صريح لفظ النهي أو التحريم، كقوله تعالى: ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾[8]، كل هذا مختلف فيه، والأرجح أنه ليس من صيغة النهي في شيء، فأفعال

---

[1] سورة آل عمران، الآية:28.

[2] محمود توفيق محمد سعد، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، ص62.

[3] السكاكي، مفتاح العلوم، ص320.

[4] ابن الناظم، المصباح في المعاني والبيان والبديع، ص91.

[5] بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ص470.

[6] ينظر: أبو مصطفى البغدادي، نيل المنى شرح قطر الندى، ص49.

[7] سورة النحل، الآية:90.

[8] سورة المائدة، الآية:3.

الأمر المراد بها الكف عن الفعل هي من صيغة الأمر، لأن النهي «... ما له إلا صيغة واحدة وهي (لا) الناهية، ولهذا اجتنب، أُتركْ، دعْ، تجنّبْ، هذه ليست نهيا مع أنها طلب الكف عن الفعل؛ لأن النهي له صيغة واحدة معينة، وهي المضارع المقرون بـ (لا) الناهية...»[1]، كما أن أسماء الأفعال مثل: صَهْ، ومَهْ وغيرهما، داخلة في معنى الأمر أيضا، فقد ذكر " السكاكي " صيغة " صَهْ " في باب الأمر، إذ يقول: « والأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها، أعني استعمال نحو: لينزلْ، وانزلْ، وصَهْ، على سبيل الاستعلاء »[2]. أما الجمل التي ورد فيها صريح لفظ النهي أو التحريم- كما في الآيتين السابقتين- فهي جمل خبرية أصلا، ولا علاقة لها بالنهي كأسلوب من أساليب الإنشاء الطلبي.

يبقى أن نوضح أن الصيغ السابقة تدل على النهي من الناحية الأصولية التشريعية، ولكنها لا تدل عليه من الناحية البلاغية، فإن النحاة والبلاغيين مجمعون على أن صيغة النهي التي تدل عليه باعتباره أسلوبا إنشائيا طلبيا هي (لا تفعلْ)، وبالتالي تكون الصيغ التي ذُكرت آنفا خارجةً عن نطاق هذه الدراسة، وإنما أردنا التعريج عليها حتى يكون القارئ الكريم على بيّنة، ولا يلتبس عليه الأمر.

---

[1] حنفي ناصف وآخرون، دروس البلاغة، ص45.

[2] السكاكي، مفتاح العلوم، ص318.

2- شروط إجراء النهي على معناه الحقيقي:

تضمن هذه الشروط عند اجتماعها أن يكون النهي حقيقيا، محافظا على معناه الأصلي، وهو طلب الكف عن الفعل فورا على وجه الاستعلاء مع الإلزام، والذي يفيد في البيان القرآني التحريم، دون أن يتجاوزه إلى معان أخرى. وهذه الشروط مقامية؛ أي أنها تتعلق بالسياق الخارجي مثل تعلقها بالسياق اللغوي، وهو حال معظم الأساليب، وفي مقدمتها أساليب الطلب، وهذا أمر طبيعي، لأن البلاغة تقتضي التأثير في المتلقي بُغية إمتاعه وإقناعه، وهذا يفترض وجود متكلم يوظف مقدرته اللغوية تبعا لموضوع الكلام، وأهدافه منه، وحال المتلقي.

وشروط إجراء النهي على الحقيقة هي:

2-1- العلو والاستعلاء:

ويتعلق أساسا بالمتكلم، وهو شرط مهم لتحقق المعنى الحقيقي للنهي، لأنه مذكور في كل تعاريف النهي، والتي سبق ذكر بعضها، ومن خلاله يمكن أن نميّز بين المعنى الحقيقي للنهي، ومعانيه الثانوية كالدعاء، والالتماس بصفة خاصة. ومعنى الاستعلاء «أن يَعُدَّ الناهي نفسه أعلى منزلة من المنهي وإن لم يكن كذلك حقيقة، فيجيء نهيه على جهة الغلظة والقوة »[1]، ويتضح من ذلك أن الاستعلاء متعلق بكيفية أداء النهي أكثر من تعلقه بمنزلة الناهي.

ومثاله قول تلميذ مُتنمّر لزميله المسالم: (لا تجلس معنا)، فإن هذا النهي حقيقي على الرغم من أن الناهي ليس أعلى منزلة من المنهي في الواقع، لكنه يعُدُّ نفسه كذلك، لأنه أقوى منه وأبطش، فهو مستعلٍ، وبالتالي فنهيه يكون فيه من الشدة والغلظة بحيث يجعل التلميذ المسالم ملزمًا بالامتثال له والانصراف فورًا، لأنه خائف على نفسه من الأذى.

وأما " العلو" فهو على العكس من ذلك تمامًا؛ إذ يفترض أن يكون الناهي أعلى منزلة من المنهي حقيقة، سواء كان في النهي شدة و غلظة أم لم يكن فيه، وهو بذلك يركز على منزلة الناهي لا على كيفية أداء النهي. وهذا العلو قد يكون «... معتبرا عند

[1] ينظر: محمود توفيق محمد سعد، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، ص10.

الله عزّ وعلا، كعلو العالم التقي على الجاهل، والحاكم العادل على قومه،... أو يكون معتبرا عند الناس، كعلو الغني على الفقير، والحسيب على غيره... »[1].

ومثاله قول القاضي للمتّهم: (لا تتكلم حتى آذن لك)، وهو نهي حقيقي، لأن القاضي أعلى منزلة من المتهم حقيقة، ولا يهم إن كان نهيه يتضمن غلظة وشدة أم لا، فالمتهم ملزم بالامتثال له والسكوت فورا، حيث أنه لا يملك إلا ذلك من خلال إدراكه لمنزلة الناهي.

هذا عن العلو والاستعلاء. ولكن، هل يتحقق المعنى الحقيقي للنهي بوجودهما معا، أم يكفي وجود أحدهما ؟ والجواب أنهم اختلفوا في ذلك على مذاهب، « فمنهم من اشترط العلو، ومنهم من اشترط الاستعلاء، ومنهم من جمع بينهما »[2]، ولكل أدلته التي يضيق المقام بذكرها هنا. وحسبنا أن نقول أنه إذا كان النهي في البيان القرآني والنبوي يختلف عن غيره- كما سبق ذكره- فهذا ينطبق على العلو والاستعلاء أيضا؛ بمعنى «أنهما يجتمعان في البيان القرآني والنبوي، لأن الناهي هو الله سبحانه وتعالى أو الرسول- صلى الله عليه وسلم، فالعلو متحقق، والاستعلاء وارد. وينفرد الاستعلاء في بيان غيرهما، لأن علو الناهي فيه وارد، ولكنه ليس ضرورة »[3].

فالعلو والاستعلاء يكشفان العلاقة بين الناهي والمنهي، وكيف ينظر كل منهما إلى الآخر؛ فيبادر المنهي للامتثال بترك ما نُهي عنه فورا، لأن النهي مُلزِم له، وهو مُدرك لما يترتب عن المخالفة والعصيان.

2-2- الإرادة:

وتدخل في مقصد الناهي، وشدة رغبته في امتناع المنهي عما نُهي عنه، وبعبارة أخرى، يمكن القول أنها درجة الإلزام في النهي؛ فكلما كان النهي أكثر إلزاما للمنهي دخل في حقيقة النهي، وامتنع عن الخروج إلى معان أخرى. فشرط الإرادة يؤدي «... دورا في التمييز بين بعض الدلالات الطلبية، فالفرق بين التحريم والكراهة يعود- أساسا- إلى درجة إرادة الامتناع عن الفعل، فقد يكون الامتناع مرادا على سبيل الجزم، فيكون النهي

---

[1] مرجع سابق ، ص8،9.

[2] ينظر: عبد الحميد دايم، الأمر والنهي وأثرهما في الأحكام الشرعية، ص71 وما بعدها.

[3] ينظر: محمود توفيق محمد سعد، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، ص12.

للإيجاب (التحريم بالنسبة للشارع)، وقد يكون الامتناع مرادا على سبيل التفضيل والحث على الترك، فتدل الصيغة على كراهة الفعل والندب إلى تركه، لا على تحريمه »[1]. والملاحظ من هذا القول أن إرادة الامتناع عن الفعل تنبع من طبيعة هذا الفعل في حدّ ذاته، فكلما كان الفعل المنهي عنه أكثر فسادا وسوءًا، كانت إرادة الامتناع عنه أقوى، وهو ما أشير إليه في الفرق بين دلالتي التحريم والكراهة.

وكثير من النواهي في القرآن الكريم- إن لم يكن أغلبها- لا تخلو من شرط الإرادة، فمقاصد الشارع الحكيم فيها كل الخير لعباده، وليس ينهاهم أو يحرّم عليهم إلا ما فيه ضرر بهم، وفساد لنظام حياتهم، أَوَليس هو القائل سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالِاثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[2]. كما نستطيع أن نتبيّن هذه الإرادة بوساطة تعليل النهي أو تأكيده أو تكراره، ومثال ذلك قول القائل: (لا تسلك هذه الطريق، إنّها مليئة بالمخاطر)، فجملة " إنها مليئة بالمخاطر" دلّت على إرادة المتكلم وحرصه على أن يمتثل المنهي لطلبه، وهو الأمر ذاته الذي دلّت عليه النون في جملة (لا تأكُلنَّ بشمالك)، وتكرار النهي في جملة (لا تُسرعْ ، لا تُسرعْ).

فعلو الناهي أو استعلاؤه لا يكفيان حتى يكون النهي جاريا على معناه الحقيقي، بل لابد من إرادة قوية تُلزم المخاطب بالكف عن الفعل الذي نُهي عنه، وكلما كانت هذه الإرادة أقوى، كان النهي أقرب إلى حقيقة معناه.

2-3- الزمان:

وهو شرط متعلق بصيغة النهي في حدّ ذاتها، وبما أن النهي من أساليب الطلب، فهو « يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب »[3]، أي أن الفعل المنهي عنه لم يحدث بعد. ويعلق الباحث " محمد بن فلاح المطيري " على ذلك بقوله: «أي: لا يتحقق مراد طالبه إلا بعد التلفظ به، وهذا لا يحصل إلا بعد وقت الطلب »[4].

---

[1] حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، ص85.

[2] سورة الأعراف، الآية:33.

[3] مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص61.

[4] حنفي ناصف وآخرون، دروس البلاغة، ص41.

ومعنى ذلك أن امتثال المنهي للطلب، وانتهاءَه عمّا طُلب منه، يكون بعد صدور النهي وانقضائه. خذ مثلا قولك: (لا تقرأ ما لا يفيدك)، فإن المنهي سيبادر بالانتهاء عن قراءة ما لا يفيده بعد سماعه لهذا النهي.

والزمان الذي تفيده صيغة النهي و تتحقق فيه هو المستقبل، إذ «... ينبغي أن يكون طلب الكف متعلقا بالمستقبل... »[1]، وهذا ما تفيده صيغة النهي بأصل وضعها اللغوي، فالفعل المضارع يفيد الحال، فإذا دخلت عليه " لا " الناهية وجَّهَته إلى الاستقبال؛ فهي «... حرف يجزم الفعل المضارع ويخلصه للاستقبال، نحو: ﴿ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِيۖ﴾[2]... »[3]. كما أن الاستقبال متحقق في كون الفعل المنهي عنه غير حاصل وقت النهي، «... فإذا استُعملت تلك الأساليب– الأمر والنهي والتمني والاستفهام والنداء في أمور حاصلة وقت الطلب، وجب تأويلها بحسب القرائن وما يناسب المقام »[4].

وفي هذه المسألة نظر؛ فثمّة من يُدخل في حقيقة النهي « طلب الكف عن فعل واقع عند الطلب أو سيُفعل من المخاطب حقيقة أو احتمالاً »[5]. وبحسب ما سبق في تعريف الطلب، فلا مشكلة في أن يكون الفعل المطلوب الكف عنه سيُفعل من المخاطب حقيقة أو احتمالا. فإذا قال الشرطي للّص قبل أن يجلس: (لا تجلس)، فإنه ينهاه عن فعل لم يقع منه بعد، ولكنه كان سيقع منه بالتأكيد. بخلاف قول المدير للتلاميذ: (لا ترموا الأوساخ في الساحة)، فهو ينهاهم عن فعل قد يقع منهم، وقد لا يقع. ولكن المشكلة في أن يكون الفعل المطلوب الكف عنه واقعا عند الطلب، وعند ذلك قد نتَوهّم أن النهي متوجه إلى الحال لا إلى الاستقبال. ومثال ذلك قول المعلم لتلميذ رآه يكسر أغصان الأشجار: (لا تكسر أغصان الأشجار)، فهو ينهاه عن فعل وقع منه وانتهى الأمر، وهذا يخالف حقيقة كون النهي للاستقبال.

---

[1] حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، ص83.

[2] سورة القصص، الآية:7.

[3] يوسف عبد الله الأنصاري، أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، ص279.

[4] بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ص353.

[5] محمود توفيق محمد سعد، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، ص15.

والواقع أن زمن الاستقبال في النهي متعلق بزمن النهي في حد ذاته، لا بزمن وقوع الفعل المنهي عنه؛ «... فإن الطلب حال وقوعه يتوجه إلى الاستقبال، كما نبّهتُ عليه في صدر القانون...»[1]، فيُحسب الزمن ابتداء من النطق بجملة النهي. فنَهيُ التلميذ- في المثال السابق- يبدأ من وقت نطق المعلم بجملة النهي، أي أنه طلب منه أن لا يكسر أغصان الأشجار في المستقبل، ابتداءً من تلك اللحظة، وإلا فإنه قد كسرها وانتهى الأمر.

والقرآن الكريم ينهى أتباعه عن أفعال قاموا بها في الماضي، كوأد البنات، والزنا، وقتل النفس...إلخ، وهذا النهي لا ينصرف إلى زمن الأفعال التي قاموا بها، وإنما ينصرف إلى زمن النهي وما بعده.

2-4- الإمكان:

وهو شرط يتعلق بالمتلقي (المنهي)؛ حيث ينبغي أن يكون بمقدوره الانتهاء عن الفعل الذي طُلب منه الكف عنه. فالنهي طلبٌ، والطلب يستدعي مطلوبا، والإنسان لا يطلب إلا ما كان ممكنا، «... فالمخاطب لا يُنهى عمّا لا يمكن أن يقع منه، سواء كان امتناع الوقوع لعدم استطاعته، أو لأن الفعل لا يُتخيّل أن يقع من مثله، ولذلك أجمعوا على عدم إرادة النهي في نحو قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَحْسِبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[2]، إذ لا يُخاطب النبي- صلى الله عليه وسلم- بمثل ذلك... »[3].

ويتضح من هذا النص أن "الإمكان" يتعلق بأمرين: قدرة المنهي على الكف عن الفعل، وإمكانية صدور الفعل منه، فإن كان لا يستطيع الانتهاء عن الفعل، أو كان الفعل لا يُتوقع أن يصدر من مثله، إمتنع إجراء النهي على الحقيقة، وتولد منه معان بلاغية أخرى. ومثاله قولك لشخص يهدّدك ويمُنّ عليك: (لا تترك السماء تقع)، فالنهي ليس حقيقيا، لأن المخاطب ليس بإمكانه الكف عن الفعل الذي نُهي عنه، وبالتالي يتولد معنى السخرية و اللامبالاة .و أمّا أنّ الفعل المنهي عنه لا يُتوقع أن يصدر من المنهي، فمثاله ما يدخل في «... النهي الموجه إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- عن أفعال هو

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص321.

[2] سورة إبراهيم، الآية:42.

[3] حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، ص84.

معصوم منها، كالشرك بالله... والمهم أنه لا يدخل في حقيقة النهي ما يكون من المخاطب عجزا أو عصمة »[1].

والنهي الحقيقي الذي يفيد التحريم أو الكراهة في القرآن الكريم يراعي هذا الشرط؛ فالله سبحانه وتعالى لا ينهانا إلا عن الأفعال التي تصدر- أو يمكن أن تصدر- عنا، والتي نستطيع الكف عنها، فهو القائل جلّ وعلا: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾[2].

2-5- المصلحة:

النهي الحقيقي هو الذي يراعي مصلحة المنهي من خلال الكف عمّا نُهي عنه، ف «... الطلب (أمرا أو نهيا) لا يكون للوجوب إذا لم يكن ثمّ دافع إليه سوى مصلحة المطلوب منه...»[3]، وهذه المصلحة قد تتغير بتغيّر الفعل المنهي عنه ومقام النهي؛ فتكون أحيانا من منظور الناهي، وأحيانا من منظور المنهي. فالتلميذ المتنمّر عندما يقول لزميله: (لا تجلس معنا)- والنهي حقيقي كما سبق- فهو لا يراعي مصلحته، ولكن المصلحة تأتي من خوف التلميذ المسالم (المنهي) على نفسه، وانصرافه بسرعة. أما عندما يقول الأب لابنه الصغير: (لا تلعب بالكبريت)، فهو يراعي مصلحته، لأن الصغير لا يدرك عاقبة ما يفعله.

والنواهي الحقيقية في القرآن الكريم هي التي تفيد التحريم، لذلك كان لابد لها «... من حقيقة في القول، لأنها أصل التكليف الشرعي...»[4]، والشارع الحكيم هو- وحده- الأدرى بما يصلح لعباده في أمور دينهم ودنياهم؛ فيأمرهم بكل فضيلة، وينهاهم عن كل رذيلة، «... والواقع أن النهي عن الرذائل مطلقا حسية أو نفسية، إنما هو نهي وحظر على الحقيقة. وقد استفاض النهي عن ذلك في القرآن، كوصايا لقمان، وآيات الحكمة، والوصايا في سورة الأنعام وغير ذلك »[5]، بما يحقق مصالح العباد في العاجل والآجل، إن هم امتثلوا لتلك النواهي، أو يُحلُّ عليهم العذاب إن هم خالفوا و عصَوا.

---

[1] محمود توفيق محمد سعد، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، ص15.

[2] سورة البقرة، الآية:286.

[3] حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، ص84.

[4] بابكر عابدين بابكر خلف الله، الأمر والنهي ودلالتهما البلاغية في سورة البقرة، ص78.

[5] صبّاح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص68.

وحريٌّ بالبيان أن أغلب الشروط السالفة الذكر مقامية، وقد بيّنا سبب ذلك في بداية الحديث عنها، ونزيد هنا سببا آخر يختص به النهي، وهو أن له صيغة واحدة تدل عليه، لذلك كان تعلق حقيقة معناه بالمقام متراوحا مع تعلقها بالمقال، وهذا ينطبق أيضا على المعاني البلاغية التي يخرج إليها، فـ «... الأداة قرينة على المعنى، فهي تشير إلى انحصار المعنى في دلالات بعينها، أو تستبعد دلالات أخرى عن الاحتمال، ومن ثمّ يمكن أن نعُدّ الصيغة بمفردها محددّا من محددات الدلالة »[1].

وخلاصة القول أن شروط إجراء النهي على الحقيقة هي: العلو والاستعلاء، والإرادة، والزمان، والإمكان، والمصلحة. فإذا تظافرت أفاد النهي التحريم في البيان القرآني والنبوي، وهو الكف عن الفعل على سبيل الاستعلاء والإلزام في غيرهما، وإذا تخلف عنصر منها خرج النهي عن معناه الحقيقي إلى أغراض بلاغية بحسب المقام وقرائن الأحوال.

[1] حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، ص221.

3- الأغراض البلاغية لأسلوب النهي:

إن تخلف شرط من شروط إجراء النهي على معناه الحقيقي يؤدي إلى خروجه إلى أغراض بلاغية مقصودة؛ فـ « الذي تهتم به الدراسات البلاغية ليس هو طلب الكف عن الفعل- وهو المعنى الأصلي لتلك الصيغة- وإنما تهتم بما وراء ذلك من معانٍ بلاغية يفيدها أسلوب النهي... »[1]، وهذه المعاني تختلف باختلاف الشرط الذي تخلّف، والذي يحدد ذلك هو السياق، فـ « متى وُجد الكلام الصادر عمّن يُعتدّ بكلامه مُستعملا في غير معناه الأصلي المعروف له وضعا، طُلب المراد بالتأمل الصادق، مستعينا بالقرائن وسياق المقال، حتى ينجلي له وجه العدول... »[2].

وجدير بالذكر أنه لا يُصار إلى تلك الأغراض البلاغية إلا إذا امتنع إجراء النهي على الحقيقة، « لأن التحويل في دلالة الأساليب ضرب من المجاز، وآلية إدراكه هي نفسها آلية إدراك المجاز الذي لا يُصار إليه إلا إذا امتنع الإجراء على الحقيقة، أو بعبارة أخرى، إلا إذا وُجدت قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي... »[3]. وهذا لا يعني أن المعنى الأصلي أهم من المعنى البلاغي، أو أن هذا الأخير غير مقصود، وإنما القصد إلى التدرُّج في الفهم؛ فإن المعنى الأصلي يُفهم من حقيقة الوضع اللغوي دونما الحاجة إلى قرينة، لذلك فهو الأصل، أما المعنى البلاغي فيحتاج في فهمه إلى قرينة، فهو فرع، والأصل مقدّم على الفرع، «... والقرينة إما لفظية أو حالية، فاللفظية هي التي يُلفظ بها في التركيب، والحالية هي التي تُفهم من حال المتكلم أو من الواقع... »[4].

وغير خفيّ أن المعاني البلاغية التي يحتملها أسلوب النهي كثيرة ولا يمكن حصرها، تبعا لكثرة مقاصد المتكلمين، وأحوال المخاطبين، وأغراض الكلام، ومن هذه المعاني ما هو شائع يكثر تداوله، ومنها ما دون ذلك، وسنكتفي بذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر، ومنها:

---

[1] بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ص372.

[2] أحمد السيد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص212.

[3] حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، ص19.

[4] المرجع السابق ،ص252.

3-1- الدعاء:

إذا كان النهي الحقيقي موجّها من الأعلى منزلة إلى الأدنى، فإن الدعاء على العكس من ذلك تمامًا، إذ يكون من الأدنى إلى الأعلى، نحو قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوَ اَخْطَأْنَاۚ ﴾[1]. ومن البديهي أن يغيب " الاستعلاء " هنا، لأن النهي موجه من العبادة إلى ربهم، وهذا ما أكسبه معنى الدعاء، بالإضافة إلى ما يكتنفه من تضرع وتذلل. «... وسر التعبير بصيغة النهي في مقام الدعاء في الآية الكريمة هو بيان رغبة هؤلاء المؤمنين في أن يتجلى الله عليهم بالرحمة والغفران، وإظهار كمال ضراعتهم وتذللهم إلى الله جل وعلا »[2].

3-2- الالتماس:

وفيه يكون الناهي والمنهي بمنزلة واحدة، فيتخلّف شرط " الاستعلاء "، لينصرف النهي إلى معنى الالتماس، كقول أحدهم لزميله: (لا تتركني وحدي). ونلمس في الالتماس مشاعر اللطف والتأدب من الناهي .« والعلاقة بين النهي والالتماس الإطلاق، لأن النهي موضوع لطلب الكف استعلاء، فاستُعمل في مطلق طلب الكف على جهة المجاز المرسل»[3].

3-3- التمني:

وهو طلب أمر بعيد المنال، ورغم أنه كذلك إلا أن الناهي لشدة رغبته فيه، وتخيُّله بأنه ممكن الحصول، يستعمل أسلوب الطلب المتمثل هنا في النهي، ومثاله قول "الخنساء" في رثاء أخيها "صخر":

أعينيّ جُودا ولا تجمُدا * ألا تبكيان لصخر النّدى**

فهي لشدة حزنها ورغبتها الشديدة في البكاء، تنهى عينيها عن التوقف عن ذرف الدموع، وتجعل ذلك ممكنا، لأنها تتمنى أن لا تتوقف مظاهر الحزن على أخيها. والشرط الغائب هنا هو شرط " الإمكان "، لأن نهي العينين عن البكاء غير ممكن، فهما مما لا

---

[1] سورة البقرة، الآية:286.

[2] بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ص372.

[3] عبد العزيز عبد المعطي عرفة، من بلاغة النظم العربي، ج2، ص90.

يعْقِل «... والعلاقة بين النهي والتمني التضاد، على جهة المجاز المرسل »[1]، لأن النهي طلب الممكن، فاستعمل في طلب غير الممكن على سبيل التمني.

3-4- التهديد:

ويُفتقد فيه عنصر " الزمان "، بأن يُنهى عمّا هو حاصل وقت الطلب، « وذلك عندما يقصد المتكلم أن يُخوِّف من هو دونه قدرا ومنزلة عاقبةَ القيام بفعل لا يرضى عنه المتكلم... »[2]، كأن تقول الأم لابنها الذي لم ينظّف غرفته: (لا تنظف غرفتك)، وهي لا تقصد نهيه عن تنظيف غرفته، فإن هذا لا يُعقل، وإنما أرادت تهديده على ما فعله، بتوجيه النهي إلى فعل حاصل وقت الطلب، ويمكن تأويل كلامها بجملة من قبيل: (سترى ماذا سأفعل بك)، ليتولد منها معنى التهديد .

3-5- التحقير:

ومثاله قول "الحطيئة" للزبرقان بن بدر:

دع المكارم لا ترحلْ لبُغيتها *** واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فالحطيئة ينهى الزبرقان عن الرحيل في طلب المكارم، وهذا غير معقول عُرفا، إلا إذا علمنا أنهما خصمان يهجوان بعضهما دائما، فندرك عندئذ أن الحطيئة لا يريد من الزبرقان أن يمتثل لطلبه، ولا يتوقع منه ذلك، كما أنه لا يبتغي مصلحته، وإنما أراد تحقيره، والحط من قيمته، وبيان عجزه، وذلك بنهيه عن أمر شريف مُستطاع، ولكنه يعتقد أنه لا قدرة له عليه، وليس من شيمه، كما أنه لا مصلحة للزبرقان في تحقق هذا النهي. ونتيجة لذلك يمكن القول أن هناك شرطان من شروط إجراء النهي على الحقيقة، واللذين أدى غيابهما إلى دلالة التحقير، وهما: الإرادة والمصلحة.

3-6- الإلهاب و التهييج :

ويكون بالنهي عن فعل لا يمكن أن يصدر عن المنهي، «... كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[3]،... والمعنى: داوم واثبت على تقوى الله تعالى، وداوم على عدم الطاعة للكافرين والمنافقين... وفيه حثّ وإلهاب على

---

[1] مرجع سابق، ص92.

[2] أحمد السيد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص88.

[3] سورة الأحزاب، الآية:1.

متابعة الحدث والاستمرار فيه نهجا وأصلا »[1]، إذ لا يُعقل أن يُنهى النبي- صلى الله عليه وسلم- عن طاعة الكافرين والمنافقين، لأن الفعل واقع منه أصلا، ولا يُتوقع منه غير ذلك، وإنما المعنى: حثه على الدوام والاستمرار والثبات على تلك الحال، فشرط "الإمكان " هنا غير موجود، لذلك خرج النهي عن معناه الحقيقي. « وأكثر هذه الأساليب جاء خطابا لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- تثبيتا وتنزيها وتسلية، وربطا على قلبه الشريف... »[2]، والحكمة من نهيه- صلى الله عليه وسلم- عن مثل هذا الفعل، أن غيره منهيٌّ من باب أولى، وفي هذا تقبيح وتشنيع للفعل المنهي عنه، إلى حدّ أن يُنهى عنه خير الخلق، الذي يستحيل أن يَتلبّس به.

والظاهر أن هذا النهي قد خرج إلى معنيين بلاغيين هما: "الإلهاب والتهييج"، وذلك بالحث على الدوام والاستمرار على ترك الفعل المنهي عنه، بالإضافة إلى معنى "التفظيع والتهويل" له .

3-7- الشفقة:

«... كما جاء في حديث الرسول- صلى الله عليه وسلم:" **لا تتخذوا الدواب كراسي**"، وهذه شفقة من الرسول الله- صلى الله عليه وسلم- ورفق بالحيوان»[3]. والملاحظ أن النهي هنا حقيقي، من حيث أنه طلب الكف عن الفعل من الأعلى إلى الأدنى على وجه الاستعلاء والإلزام، مع توفر كل شروطه، وهو بالتالي يستلزم حكما شرعيا يتمثل في « كراهة إطالة وقوف البهائم المركوبة والمحمّلة فوق الحاجة »[4]. ولما كانت الحكمة من هذا النهي هي الشفقة على الحيوان، قلنا أنها غرض بلاغي له، وما البلاغة إلا بلوغ نهاية المعنى.

والجدير بالذكر أن الغرضين البلاغيين الأخيرين يحيلاننا إلى مسألة مهمة، وهي علاقة المعنى الحقيقي بالمعنى البلاغي، وإمكانية مراودتهما للأسلوب نفسه. ففي المثال الأخير خرج النهي إلى معنى " الشفقة " مع بقائه دالا على معناه الحقيقي، وهذا ممكن، فالمعاني البلاغية أطياف وظلال للمعنى الحقيقي. وفي المثال الذي قبله خرج النهي إلى

---

[1] صباح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص 12،13.

[2] المرجع نفسه، ص91.

[3] بابكر عابدين بابكر خلف الله، الأمر والنهي ودلالتهما البلاغية في سورة البقرة، ص81.

[4] المكتبة الإسلامية، الآداب الشرعية والمنح المرعية،ص 359 ، Islamweb.net

معنى " الإلهاب والتهييج" إلى جانب " التفظيع والتهويل "، مع استحالة دلالته على معناه الحقيقي، وهذا ممكن أيضا.

ولعل المهم في نظر البليغ هو علّة استعمال النهي بهذه المعاني في مقامات مختلفة، لا كيفية خروجه إليها، «... فالأولى أن تُصرف الهمم، وأن توجه الأذهان إلى معرفة المزايا والأسرار الكامنة وراء استعمال الأساليب الإنشائية في الدلالة على هذه المعاني، والوقوف عليها من خلال سياقات الكلام ومعرفة قرائن أحواله، لا أن تُبدّد في اللّهثِ وراء التقاط علاقات لا تُنمّي ذوقا ولا تفيد شيئا »[1].

والمتأمل للأمثلة السابقة يجد أن تلك المعاني البلاغية مستفادة من صيغة النهي في المقام الأوّل ، وهناك معانٍ بلاغية أخرى يمكن أن نستخرجها من أسلوب النهي ككل، ومنها على سبيل المثال:

3-8- التسوية:

ومثالها قوله تعالى: ﴿ اِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓاْ أَوْ لاَ تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2]، ومعنى التسوية لا يتحقق بصيغة النهي وحدها، بل لابد من اقترانها بصيغة الأمر التي سبقتها، إذ ليس المراد نهيهم عن الصبر، وإنما المعنى أنّ « صبرهم على ألم النار وشدتها وعدمه سواء، فإنهم معاقبون على معاصيهم وكفرهم لا محالة »[3]. كما أن معنى التسوية مصرّح به في الآية، عند قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْۖ ﴾، «...وقد ذكروا المثال من قبل شاهدا على استخدام الأمر للتسوية... »[4]، فلزم من ذلك أن كلا من صيغتي الأمر والنهي تشتركان في إفادة معنى التسوية.

وقد تقدمت صيغة الأمر على صيغة النهي؛ وهو الأنسب لهذا المقام من جميع النواحي البلاغية، وفي مقامات أخرى تجد النهي متقدما على الأمر، وكلا الحالتين موجود في البلاغة القرآنية.

---

[1] بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ص370.

[2] سورة الطور، الآية:16.

[3] ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ص524.

[4] حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، ص88.

3-9- التوسط والاعتدال:

ومعناه أن يكون الإنسان في منزلة بين منزلتي الإفراط والتفريط، فلا يميل إلى إحداهما كل الميل، بل يبقى وسطا محافظا على توازن سلوكه. ومن ذلك ما جاء في الحكمة المتداولة: (لا تكن ليّنا فتُعصر، ولا تكن قاسيا فتُكسر)، فقائلها لا يقصد نهي المخاطب عن الكون ليّنا، ولا عن الكون قاسيا، لأن «... الكينونة في الحقيقة ليست متعلق النهي، لأن الكون والوجود- كما قال الرازي- ليس مقدورا للمخاطب حتى يُنهى عنه حقيقة »[1]، وإنما القصد أن يكون معتدلا في معاملته، فلا يكون فظًا غليظ القلب، ولا مطواعا يقوده من شاء، وهذا المعنى لا يُفهم من أحد النهيين دون الآخر، وإنما يُفهم من كليهما.

وتوالي النهيين في نسق محكم، يرسم صورة بيانية مؤثرة، يتدرج فيها المتكلم- بمنطقية- من الضعف إلى القوة، معطيا لكل منهما ما يناسبه من التعليل، بغية إقناع المخاطب. وقد شبّه الإنسان بالشيء اللين الذي يُعصر، ثم بالشيء القاسي الذي يُكسر، فحذف هذين الشيئين وترك قرينة تدل عليهما، تمثلت في كلمتي (تُعصر) و(تُكسر) على سبيل "الاستعارة التمثيلية"، ومثل هذا النسق من توالي النهي موجود كذلك في البلاغة القرآنية .كما أن كلًّا من طرفي هذه الاستعارة يمثل لوحده "كناية"، فجملة " لا تكن ليّنا فتُعصر" كناية على مدى ضعف الشخص المستكين ، وجملة " لا تكن قاسيا فتُكسر " كناية على مدى جفاء الشخص الفظّ .

ومن باب الكناية أيضا قولك لشخص متهوّر:" لا تلعب بالنّار " كناية على دعوته إلى عدم التصدي إلى الأمور الخطيرة دونما حساب للعواقب، و يتولد من ذلك معنى "التحذير" أو "النُّصح والإرشاد" ، فكما أنّ النار قد تُحرق من يلعب بها ، فإن اقتحام الأهوال قد يُعرّض الإنسان إلى أضرار مادية أو معنوية . ويجوز أن يكون معنى النهي في الجملة حقيقيا ، إذا وُجّه إلى طفل صغير يلعب بالنّار، واحتمال إرادة أحد المعنيين يعود إلى مقام التخاطب .

[1] صباح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص90.

وهكذا ترى أن معنى النهي بما دلّت عليه الصيغة، أو بما دلّ عليه الأسلوب لا يخرج عن ثلاثة مناح: فإما أن يكون حقيقيا، سواء أفاد التحريم – كما في البيان القرآني والنبوي – أو كان استعلاء وإلزاما – كما في الكلام العادي –، وإما أن يكون حقيقيا ولكن تقل فيه درجة الإلزام، فيشوبه معنى أو معان بلاغية أخرى، وإما أن يفيد معنى أو معان بلاغية يحتملها طلب الترك فحسب، دون وجود للمعنى الحقيقي للنهي، والفاصل بين هذه المعاني هو مقام التخاطب بسياقيه :اللغوي و الخارجي .

ولعل فكرة شروط إجراء النهي على معناه الحقيقي تسهل على الدارسين اكتشاف الأغراض البلاغية المختلفة التي تتقاذف أسلوب النهي، والتمييز بينها، لأن تخلُّف شرط معيّن يؤدي إلى معنى بلاغي معيّن.

الفصل الثاني:

بلاغة أسلوب النهي في سورة الإسراء:

1-صيغ النهي في السورة

2-شروط إجراء النهي على معناه الحقيقي في السورة

3-الأغراض البلاغية لأسلوب النهي في السورة

1- صيغ النهي في السورة:

قبل الحديث عن صيغة النهي أجد أنه من الضروري إماطة اللثام عن سورة "الإسراء " ومقاصدها، وهي خطوة مهمة- إلى جانب تفسير الآيات- لتحديد بعض ملامح "مقتضى الحال"، أو ما يسمى بـ " مقام التخاطب " في السورة، والذي سيكشف لنا- بالتظافر مع السياق اللغوي- أسرار استعمالات صيغة النهي، ومعناه الحقيقي، وأغراضه البلاغية في كل آية يَرِدُ فيها.

1-1- سورة الإسراء:

« السورة قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة، ناشئ عن أسباب النزول، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة »[1]. فآيات السورة بينها من التلاحم والانسجام ما يجعلها كالكلمة الواحدة في التعبير عن الغرض المقصود، الذي يراعي أحوال المخاطبين ومصالحهم من جهة، ويتماشى مع تسلسل معاني الآيات وترابطها من جهة ثانية.

وهذا ينطبق على سورة " الإسراء " بوصفها سورة من القرآن الكريم، مع بعض الخصوصيات التي تميزها عن غيرها من السور ،« فقد سُميت بهذا الاسم لما ذُكر فيها من الإسراء بالنبي- صلى الله عليه وسلم- وكانت تسمى في عهد الصحابة بسورة " بني إسرائيل "، لأنه ذُكر فيها من أحوالهم ما لم يُذكر في غيرها، وتسمى أيضا سورة "سبحان" لأنها أول كلمة فيها، وهي مكية عند الجمهور، وعدد آياتها مائة وعشر آيات عند الجمهور، ومائة وإحدى عشرة عند أهل الكوفة. وتزامن نزولها مع كثرة المسلمين بمكة، فكان فيها من الأحكام الشرعية المهذبة للنفوس ما لم يكن في غيرها من السور المكية؛ فاهتمت بإقامة الحجج على تفرد الله- سبحانه وتعالى- بالألوهية، والتحذير من عاقبة الشرك، كما تحدثت عن الإحسان إلى ذوي القربى وخاصة الوالدين، إضافة إلى تعرضها لبعض القضايا الاجتماعية، فدعت إلى التحلي بالفضائل، ونهت عن الرذائل، كما ذَكَرت السورة بعض نعم الله سبحانه وتعالى، ومن أعظمها القرآن الكريم، وما له من فضل في شفاء النفوس والأبدان، وحثّت على إقامة الصلوات في أوقاتها، وفيها تحذيرٌ من عداوة

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص84.

الشيطان وكيده، وإثبات للبعث والجزاء، وإنذار بعذاب الآخرة، وكان ختامها تنزيه الله عز وجل عن الشريك والولد »[1].

وكما خُتمت السورة بتنزيه الله عزّ وجل فإنها بُدئت به، وهذا ما تدل عليه كلمة "سبحان ". وفي التنزيه بيان لقدرة الله عز وجل، فكان هو المستحق للعبادة وحده، لأنه الخالق والمدبّر لشؤون الخلق، وكان الوالدان أولى الناس بالإحسان لمّا جعلهما سبب هذا الخلق، وكان الحفاظ على النفس البشرية بشتى السُّبل من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية. والحفاظ عليها يقتضي الحفاظ على الأسرة وحوزتها من التشتت والضياع، وذلك بحُسن بنائها، وتربية أفرادها تربية ترضي الله سبحانه وتعالى، وإيفائهم حقوقهم المادية والمعنوية، ليُوفوا هم حقوق غيرهم على أساس المعاملة الحسنة، وفي هذا صلاح للمجتمع، وحفاظ على تماسكه، ولن يكون ذلك إلا بالإيمان الصادق المبني على توحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة.

فانظر إلى هذا النموذج من الترابط والتلازم بين المعاني، وهو نموذج خاص بأغلب ما جاء من معاني أسلوب النهي في السورة، وما أفاده من المصالح الدنيوية والأخروية، ناهيك عن نظيره من ترابط الألفاظ وتلازمها، ولا تسأل عن تقارب الفواصل وتناسبها ففيه من أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ما تشرئبُّ له الأسماع، وتهفو له النفوس.

1-2- صيغ النهي:

علِمتَ فيما مضى من البحث أن النهي يكون بـ " لا تفعلْ " أو " لا يفعلْ فلان "، أي مع ضمير المخاطب أو الغائب، وقد ظل النهي في سورة الإسراء وفيًّا لهذه الصيغة، وهي " لا " الناهية مع الفعل المضارع المجزوم، مع اختلاف في الضمير الذي رفعه هذا الفعل. وفيمايلي جدول يوضح الآيات التي وردت فيها صيغة النهي، والضمير الذي خُوطب بها:

---

[1] ينظر: مرجع سابق، ج15، ص5 وما بعدها، و الألوسي، روح المعاني ، ج15، ص 2و3، ومحمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص 162و163.

الآية	رقمها	صيغة النهي	نوع الضمير	عدده وجنسه
﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾	02	لا تتخذوا	مخاطب	جمع مذكر (أنتم)
﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾	22	لا تجعلْ	مخاطب	مفرد مذكر (أنت)
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	23	لا تعبدوا	مخاطب	جمع مذكر (أنتم)
﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾	23	لا تقل لا تنهرْ	مخاطب	مفرد مذكر (أنت)
﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾	26	لا تبذّرْ	مخاطب	مفرد مذكر (أنت)
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾	29	لا تجعلْ لا تبسطْ	مخاطب	مفرد مذكر (أنت)
﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾	31	لا تقتلوا	مخاطب	جمع مذكر (أنتم)
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾	32	لا تقربوا	مخاطب	جمع مذكر (أنتم)
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾	33	لا تقتلوا	مخاطب	جمع مذكر (أنتم)
﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ﴾	33	لا يُسرفْ	غائب	مفرد مذكر (هو)

﴿ وَلا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِالتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾	34	لا تقربوا	مخاطب	جمع مذكر (أنتم)
﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾	36	لا تَقْفُ	مخاطب	مفرد مذكر (أنتَ)
﴿ وَلا تَمْشِ فِى ٱلاَرْضِ مَرَحاً ﴾	37	لا تمشِ	مخاطب	مفرد مذكر (أنتَ)
﴿ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ ﴾	39	لا تجعلْ	مخاطب	مفرد مذكر (أنتَ)
﴿ قُل ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لاَ تُومِنُوٓاْ ﴾	107	لا تومنوا	مخاطب	جمع مذكر (أنتم)
﴿ وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا ﴾	110	لا تجهرْ لا تُخافتْ	مخاطب	مفرد مذكر (أنتَ)

أول ما يُلاحَظ على صيغ النهي في السورة أن بعضها متجاور أو متقارب من حيث الموقع، وهي النواهي الموجودة بين الآيات (22) و(39) وعددها 15 نهيًا، وهي أيضا متناسبة ومتلازمة من حيث المعاني، أي أن بعضها يؤدي إلى بعض. وهناك نواهٍ أخرى منفصلة عن هذه النواهي وعددها أربعة (04)؛ منها في أول السورة نهي واحد (01) في الآية رقم (02)، وثلاث نواهٍ في آخر السورة، في الآيتين (107) و(110)، لذلك يمكن أن نفصل بين المجموعتين كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

إذن ،في السورة (19) صيغة نهي؛ جاءت كلها بصيغة المضارع المجزوم المقرون بـ " لا " الناهية، منها (18) صيغة مع ضمير المخاطب، وهي تمثل نسبة 94.73% من مجموع صيغ النهي في السورة، وصيغة واحدة فقط مع ضمير الغائب وهي (لا يُسرفْ) أي ما نسبته 5.27% من مجموع صيغ النهي.

ولعل هذا الفرق الكبير بين الضميرين يرجع إلى أن صيغة النهي مع ضمير المخاطب هي الأصل في الوضع اللغوي، وهي الأكثر تداولا واستعمالا مقارنة بنظيرتها مع ضمير الغائب، كما أنها تحمل دلالة صريحة يُفهم منها مباشرة المعنى الحقيقي

للنهي، وهذا هو الأنسب لأغلب ما جاء من معاني النهي في السورة، ولما يتطلّبه السياقان: اللغوي والخارجي. وحتى ما جاء من المعاني البلاغية، فإن صيغة النهي مع ضمير المخاطب هي الدالة عليه، والخارجة إليه.

ومن جهة ثانية فإن صيغة النهي مع ضمير المخاطب هي الأخرى انقسمت بين المفرد المذكر (أنت)، والجمع المذكر (أنتم)، فأُحصي منها أحد عشر (11) صيغة للمفرد المذكر، بنسبة 61.11% من مجموع ثمانية عشر (18) صيغة، وسبع (07) صيغ للجمع المذكر، والتي تشكل نسبة 38.89% من مجموع صيغة النهي مع ضمير المخاطب.

فالأفعال التي نُهي عنها المُخاطَب المفرد المذكر هي على الترتيب:

- جعلُ إله آخر مع الله [من الآية 22].
- قول أف للوالدين [من الآية 23].
- نَهرُ الوالدين [من الآية 23].
- التبذير [من الآية 26].
- جعل اليد مغلولة إلى العنق [من الآية 29].
- بسط اليد كل البسط [من الآية 29].
- قَفْوُ ما ليس لك به علم [من الآية 36].
- المشي في الأرض مَرَحا [من الآية 37].
- جَعْلُ إله آخر مع الله [من الآية 39].

والمخاطب بهذا النهي هو النبي- صلى الله عليه وسلم- والمراد به أمته، لأنه- صلوات ربي وسلامه عليه- معصوم من ملابسة الأفعال المنهي عنها، وإنما خوطب هو بذلك ليكون نهيًا لغيره من باب الأولى. فـ « الخطاب وإن كان موجها للنبي صلى الله عليه وسلم فإنه عامٌّ للمكلفين، وسرّ مثل هذا الخطاب تنبيه الخلق إلى أن شرائع الله وتكاليفه عامّة للرسول والمرسل إليهم، وإن كان هو قد عُصم من المخالفة، فلا يبقى بعد ذلك وجهٌ لدعوى مدّع خروجَ فرد من أفراد الأمة المكلفين عن دائرة التكليف »[1]، وفي هذا زيادة اعتناء بشأن الأمور المنهي عنها في الآيات، وبيان لعظيم خطرها، ومبالغة في

[1] عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج1، ص185.

النهي عنها. ويجوز أن يكون الخطاب « لغير معين، فيشمل جميع المكلفين ممّن يصلح للخطاب »[1].

كما أن المتمعن في الأفعال المنهي عنها سابقا يرى « أن الامتثال لها حق الامتثال يكون من النبي- صلى الله عليه وسلم- وحده، و-بدرجة أقل- ممّن وفّقه الله إلى إتباع سنته، والاهتداء بهديه، وهم أفراد قليلون »[2]، ولعل هذا من بين الأسرار في توجُّه صيغة النهي إلى الإفراد.

أما بالنسبة للنهي عن الجهر بالصلاة، وعن المخافتة بها في الآية رقم (107)، فهو يشترك مع ما قبله في كون النهي موجها إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- والمراد به أُمّته، ولكنّ وجه الاختلاف في أن الكثيرين يستطيعون الامتثال لهذا النهي حق الامتثال، كما أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يفعل هذا الفعل ثمّ نُهي عنه ، ف «... كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به. قال: فقال الله لنبيّه- صلى الله عليه وسلم-: ﴿ وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ ﴾ فيسمع المشركون، ﴿ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أصحابك، فلا تُسمِعهم القرآن حتى يأخذوا عنك »[3].

أما بالنسبة للأفعال التي نُهي عنها ضمير جمع المذكر، فهي كالآتي:

- قتل الأولاد خشيّة الإملاق [من الآية 31].
- قُربان الزنا [من الآية 32].
- قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق [من الآية 33].
- قُربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن [من الآية 34].

والسر في توجه صيغة النهي إلى الجمع أن « المكلّف مطالب بكف غيره عن هذه الأفعال كما يكفُّ نفسه عنها، لأنها تؤدي إلى الفتنة بين الناس، وهي من أحوال أهل الجاهلية، ومن الشنائع التي نزّه الله نبيّه عن مخاطبته بها »[4].

---

[1] ينظر: مرجع سابق، ص231،232.

[2] ينظر: الألوسي، روح المعاني ، ص78.

[3] الطبري، جامع البيان ، ج15، ص129.

[4] ينظر: المرجع السابق ، ص78، والتحرير والتنوير، ص96.

ويُستثنى من ذلك النهي عن الشرك في الآية رقم (23) في قوله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلآَّ إِيَّاهُ ﴾، فقد وُجّه فيه الخطاب إلى الجمع « لأنه الأنسب بما يحمله لفظ " قضى " من التعظيم، كما أن الشرك أعظم الأمور قُبحا عند الله عز وجلّ، فخوطب به المكلفون تخصيصا وتعميما »[1]. وبعض هذا ينطبق على النهي عن الشرك في الآية رقم (02) في قوله تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدىً لِّبَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾، ويضاف له هنا دلالة السياق التي تقتضي توجُّه النهي إلى الجمع، لأنه خطاب لبني إسرائيل. وأمّا النهي عن الإيمان في الآية رقم (107) في قوله تعالى ﴿ قُل ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لاَ تُومِنُوٓاْ ﴾، فهو ليس نهيا حقيقة، ولا ينطبق عليه ما ينطبق على ما قبله، وسيتم توضيح ذلك في مكانه.

وخلاصة القول أن المتحكّم في تغيّر صيغة النهي في سورة الإسراء من خطاب المفرد إلى خطاب الجمع هو رُكام المعاني المتجمّعة في النهي بحسب السياقين اللغوي والخارجي، ويندرج تحت هذا منزلة المنهي، وقُبح الفعل المنهي عنه، فما تتوجّه فيه صيغة النهي إلى ضمير المفرد يكون النهي عنه مقتضيا لطاعة تصدر من الآحاد ، و لا يقوم بها حق القيام إلا أفراد قليلون ، كما أنه يكون أبلغَ وأشملَ لكل فرد من أفراد المكلّفين مما تتوجه فيه صيغة النهي إلى ضمير الجمع ، مع أن كليهما نهي حقيقي يفيد التحريم.

[1] ينظر :مرجع سابق، الصفحة نفسها، وص55.

2- شروط إجراء النهي على معناه الحقيقي في السورة:

من خلال شروط إجراء النهي على الحقيقة- والتي مرت بنا في الفصل السابق- وبمعونة السياق اللغوي ،وبعد الاطلاع على تفسير الآيات، سنحاول معرفة ما إذا كانت النواهي الواردة في سورة الإسراء حقيقية أم لا، مع بيان علّة ذلك، وهو ما سيوضحه الجدول المبين أدناه، علما أن الإشارة (+) تعني أن الشرط موجود، والإشارة (-) تعني أن الشرط غير موجود:

رقم الآية	النهي	العلو	الإرادة	الزمان	الإمكان	المصلحة
02	﴿ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾	+	+	+	+	+
22	﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ ﴾	+	+	+	+	+
23	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾	+	+	+	+	+
23	﴿ فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾	+	+	+	+	+
23	﴿ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا ﴾	+	+	+	+	+
26	﴿ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴾	+	+	+	+	+
29	﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾	+	+	+	+	+
29	﴿ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾	+	+	+	+	+
31	﴿ وَلا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾	+	+	+	+	+
32	﴿ وَلا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾	+	+	+	+	+
33	﴿ وَلا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾	+	+	+	+	+
33	﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰناً فَلاَ يُسْرِف فِّي	+	+	+	+	+

	﴿ ٱلْفَتْلِ ﴾					
34	﴿ وَلا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾	+	+	+	+	+
36	﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾	+	+	+	+	+
37	﴿ وَلا تَمْشِ فِي ٱلأَرْضِ مَرَحاً ﴾	+	+	+	+	+
39	﴿ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ﴾	+	+	+	+	+
107	﴿ قُل ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لاَ تُومِنُوٓاْ ﴾	+	−	+	+	−
110	﴿ وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ ﴾	+	+	+	+	+
110	﴿ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا ﴾	+	+	+	+	+

من بين 19 نهيا في سورة الإسراء، توفّر 18 منها على كل شروط إجراء النهي على معناه الحقيقي، وهو ما يعادل نسبة 94.73%، فهي نواهٍ حقيقية تفيد طلب الكف عن الفعل فورا مع الإلزام، وخرج نهي واحد عن هذا المعنى، وهو الموجود في الآية رقم (107) في قوله تعالى: ﴿ قُل ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لاَ تُومِنُوٓاْ ﴾، حيث غاب فيه شرطا الإرادة والمصلحة، و هو يمثل نسبة5.27% من مجموع النواهي في السورة.

ولتوضيح سبب طغيان المعني الحقيقي للنهي في سورة الإسراء، نبدأ بالنواهي الموجودة بين الآيات من الآية (22) إلى الآية (39)؛ فهذه الآيات بما اشتملت عليه من الأوامـر والنواهي هي « من الحكمة التي أوحاها رب العالمين إلى نبيه الكريم، فهي أحكام شرعية محكمة، وأخلاق عظيمة، متى عَلِمها المسلم وعَمِل بها قادته إلى الخير، ورَقَت به في سُلّم الكمال درجات، وكفلت له السعادة في الدارين بما أتت عليه من أصول الهداية الإسلامية »[1]. وإذا كانت كذلك، وكانت الأفعال المنهي عنها من بينها سيئة ومكروهة عند الله سبحانه وتعالى، بما تضمنته من كبائر، وما يترتب عنها من الآثام، فالأنسب في إيصالها إلى فهم المكلفين هو الأسلوب المباشر، القائم على الصيغة الصريحة، والعلم بأحوال المخاطبين ومصالحهم، وهذا ما تجسد في سورة الإسراء.

[1] ينظر: مجالس التذكير، ج1، ص182، وروح المعاني ، ج15، ص77، وجامع البيان، ج14، ص601، والمحرّر الوجيز، ج3، ص458.

وما سبق ينطبق على أسلوب النهي في الآية رقم (02)، فهو نهي عن الشرك، ولا يُتصوّر إلا أن يكون حقيقيا، والسياقان اللغوي والخارجي يدلان على ذلك. كما أنه ينطبق على أسلوب النهي في الآية رقم (110)، في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا ﴾، خاصة إذا علمنا أن من معاني النهي عن الجهر والمخافتة في هذه الآية: « لا تُحسِنْ علانيتها، وتُسئ سريرتها »[1]، وهذا أمر مذموم قطعا، فكان المعنى الحقيقي للنهي أنسب له وأولى.

هذا، ويَحسُن بنا أن نُفصّل- ولو في عُجالة- كيف جاءت شروط إجراء النهي على معناه الحقيقي في أساليب النهي في سورة الإسراء، وهي كالآتي:

2-1- العلو:

المتكلم في كل أساليب النهي هو الله ربُّ العالمين، وخالق الخلق أجمعين، فالعلو متحقق قطعا، وهو القائل عزّ وجلّ: ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾[2]، وقد قيل في تفسير " العلو" في هذه الآية :« و"عُلوًا " مفعول مطلق عامله " تعالى "، جئ به على غير قياس فعله للدلالة على أن التعالي هو الاتصاف بالعلو بحق، لا بمجرد الادّعاء... »[3]. وهذا العلو يفرض على العباد الاختيار بين الطاعة والإذعان، أو الخيبة والخسران في الدنيا والآخرة.

2-2- الإرادة:

جرى من قبل أن الإرادة هي درجة الإلزام في النهي، ومدى رغبة المتكلم في إقلاع المخاطب عن الفعل المنهي عنه، وتتحكم في درجة هذا الإلزام درجة قُبح الفعل المنهي عنه.

ولا يختلف اثنان في أن مراد الشارع الحكيم من أغلب النواهي في سورة الإسراء هو الكف عن الفعل على وجه الإلزام، لأن الأفعال المنهي عنها مستهجنة شرعا وعقلا، ومن بين هذه الأفعال: الشرك بالله، عقوق الوالدين، قتل الأولاد خشية الإملاق، قُربان

---

[1] الطبري، جامع البيان ، ج15، ص135.

[2] سورة الإسراء، الآية:43.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص113.

الزنا، قتل النفس بغير حق، الإسراف في القتل عند القصاص، قُربان مال اليتيم، اتّباع ما ليس لك به علم، المشي في الأرض مرحًا.

أما الأفعال الأخرى كالتبذير، والبخل والإسراف فهي لا تقارن- من حيث درجة الإلزام- بالزنا وقتل النفس مثلا، لأن هذين الأخيرين يترتب عليهما فساد أعظم، وإثم أكبر، ومع ذلك فهذه الأفعال فيها من الإلزام والإرادة ما يجعلها محرّمة كغيرها من الأفعال، وهذا بدلالة أسلوب النهي ككل، فبعد النهي عن التبذير يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ إِن ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُوراً ﴾[1]، وقد قيل في تفسير ذلك: « فالمبذر المفرّق لماله في وجوه الباطل، بالغٌ- لا محالة- بماله إلى شر كثير وفساد كبير، ولذلك وُصف بأنه أخ الشيطان الذي هو أصل الشر والفساد، ووصف تعالى الشيطان بقوله ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُوراً ﴾ ... وذِكرُ هذا من وَصْف الشيطان بعدما تقدم، يفيد أنه من وصْف المبذّر أيضا، فالمبذر أخ الشيطان، والشيطان كان لربه كفورا، فالمبذر كان لربه كفورا »[2].

كما أنه- سبحانه وتعالى- بعد أن ذكر الأمور المنهي عنها قال: ﴿ كُل ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾[3]، « ... أي مُبغَضا... وهذا تتميم لتعليل الأمور المنهي عنها جميعا، ووصفُ ذلك بمطلق الكراهة مع أن أكثره من الكبائر، للإيذان بأن مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الكف عن ذلك... »[4]، وهذا وحده كاف لإرادة التحريم الموجبة بأن يكون النهي حقيقيا.

وأما أسلوب النهي في الآية رقم (110) فبحسب المعنى؛ فإن كان النهي عن الجهر لئلا يسمع المشركون فيسبوا القرآن ومن أنزله ومن أُنزل عليه، أو كان النهي عن إحسان الصلاة في علانيتها، وإساءتها في سرّها، فهذا تكون فيه إرادة النهي أقوى مما لو كان المعنى هو النهي عن « الجهر في الصلاة كلها، أو المخافتة فيها كلها »[5]، لأن

---

[1] سورة الإسراء، الآية:27.

[2] عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، ج1، ص224،225

[3] سورة الإسراء، الآية:38.

[4] الألوسي، روح المعاني، ج15، ص76.

[5] ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف، ص611.

الفساد الناجم عن مخالفة النهي في الأول، أعظم منه في الثاني، فكان هذا أقل درجة في الإلزام. ويؤيد هذا ما ذهب إليه " الطبري " من رواية " ابن عباس "، حيث قال بعد تفسير هذه الآية: « ... فلما هاجر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة سقط هذا كله، يَفْعَلُ الآن أيّ ذلك شاء »[1].

2-3- الزمان:

النهي يقتضي الكف عن فعل غير حاصل وقت الطلب، أي وقت صدور النهي والتلفظ به، وهذا ما أدته كل صيغ النهي في سورة الإسراء. فرغم أن كثيرا من الأفعال المنهي عنها من أحوال أهل الجاهلية، أي أنها حاصِلة منهم، كالزنا، وقتل الأولاد، وقتل النفس، والاختيال في المشية... إلخ، إلا أن النهي توجه إلى المستقبل، من حين صدور الخطاب فصاعدًا، فخاطب جماعة المسلمين الداخلة في دين الله أفواجا، كما يخاطب المكلفين في كل زمان ومكان، وهذا ما أفادته صيغة النهي بمعونة السياقين اللغوي والخارجي.

2-4- الإمكان:

وننطلق فيه من قاعدتين؛ الأولى: أن الله سبحانه وتعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها، فكل الأفعال المنهي عنها في سورة الإسراء بمقدور الإنسان اجتنابها. والثانية :أن هذه المنهيّات مرتبطٌ بعضها ببعض بسبب أو بآخر، والجانب الاعتقادي فيها مُسبَّقٌ على الجانب العملي، لذلك كان النهي عن الشرك من أعظم هذه المنهيات وآكدها. فإذا انتهى الإنسان عن الشرك، وحقق توحيد الله جلّ وعلا والإيمان به، كان ما دونه أهون، كالانتهاء عن إضاعة الصلاة، وعقوق الوالدين، والزنا، والكذب، وتبديد الأموال، وأكل لحوم الناس، والتكبر... إلخ.

أما الأفعال التي جاء الخطاب بالنهي فيها موجها إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- ولا يُتصوَّر منه القيام بها، فالتفسير يحتمل أيضا أن يكون الخطاب لغير مُعيّن، فيشمل كل فرد من أفراد المكلفين دون استثناء، وبهذا يبقى شرط الإمكان قائما.

[1] الطبري، جامع البيان، ج15، ص130.

2-5- المصلحة:

الله سبحانه وتعالى أدرى بمصلحة العباد من أنفسهم، لأنه خالقهم ورازقهم، والمدّبر لشؤونهم ،وكل فعل نهى الله عنه فإن فيه مفسدة، كما أن في نقيضه- ولاشكَّ- مصلحة للفرد والمجتمع.

ولو عدنا إلى الأمور المنهي عنها في سورة الإسراء، لوجدنا أن في مقابلها خيرًا كثيرًا في العاجل والآجل. فإذا وقر الإيمان في القلب، علم المرء أن الناس سواسية أمام الله فتواضع لهم، وبَرَّ والديه، وأدى حقوقهما، وحقوق غيرهما ممّن تصله بهم قرابة من ناحيتهما، وسعى إلى التعفّف بتكوين أسرة تُراعَى فيها حقوق الأفراد المادية والمعنوية، ليُراعوا هم حقوق غيرهم من الناس على أساس العلم والعمل، وفي هذا صلاح الفرد والمجتمع.

من خلال ما سبق يمكن القول أن شروط إجراء النهي على الحقيقة قد توفرت في أغلب النواهي في سورة الإسراء، مما جعلها تفيد التحريم، مع اختلاف في درجة الإرادة في بعض النواهي، وهذا راجع إلى طبيعة الفعل المنهي عنه بالدرجة الأولى. وقد وافقت هذه المعاني الحقيقية للنهي مقام التخاطب، فالناهي هو رب العالمين، والمنهيون هم المسلمون الذين تهيّأت نفوسهم للطاعة، بما وَقَرَ فيها من الإيمان والتوحيد، وأغلب الأفعال المنهي عنها قبيحة شرعا وعقلا، فكان أجدى لمعاني النهي أن تكون حقيقية، لتَبلُغَ غاية التأثير في النفوس وإقناعها.

3- الأغراض البلاغية لأسلوب النهي في السورة:

إن توفر شروط إجراء النهي على الحقيقة في النواهي الموجودة في سورة الإسراء لا يعني عدم تضَمُّن بعض هذه النواهي لمعان بلاغية غير معانيها الحقيقية، ولكن هذه المعاني ليست مُستفادة من صيغة النهي بقدر ما هي مُستفادة من أسلوب النهي بوصفه وليد النَّظم المتَوخَّى من ترابط معاني الآيات ومبانيها.

وهذه الأساليب تنقسم -باعتبار ما قلناه في الفصل الأول- إلى أساليب يجتمع فيها المعنى الحقيقي والبلاغي، وأخرى تتضمن المعنى البلاغي فقط. فمن القسم الثاني نجد:

3-1- التسوية:

وهي أن يكون فعل الأمر وتركه سواءً في نظر المتكلم، وقد ورد هذا في الآية رقم (107) في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴾. والمخاطب في هذه الآية هم المشركون، وضمير الهاء عائد على القرآن بدليل قوله تعالى في الآية التي قبلها: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾.و صيغة " لا تومنوا " لا تحمل معنى النهي، كما أنها لا تحمل معنى التسوية في ذاتها، وإنما التسوية مستفادة من الأمر والنهي معا ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْ ﴾، أي « أن إيمانكم به وعدمه سواء، فذلك لا يُنقص من كونه حقا يؤمن به عباد الله العالمون، أما أنتم فليس لله حاجة في إيمانكم »[1]. كما نلمح مع التسوية معنى الاحتقار والازدراء واللامبالاة بهم.

أما المعاني البلاغية التي اجتمعت مع المعنى الحقيقي للنهي فمن أبرزها:

3-2- التهكم:

ونجده في الآية رقم (37) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴾، فالآية فيها نهي حقيقي عن التكبر والاختيال، ومعنى التهكم يُفهم من تمام الآية ﴿ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴾، وفي ذلك يقول " الألوسي ": « ﴿ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ تعليل للنهي، وفيه تهكم

[1] ينظر: السّعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص471، و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ص85.

بالمختال، أي أنك لن تقدر أن تجعل فيها خَرْقا بدَوْسك وشدة وطأتك ﴿ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ﴾ التي عليها ﴿ طُولًا ﴾ بتعاظمك ومدّ قامتك، فأين أنت والتكبر عليها... »[1].

والنهي هنا ليس نهيا عن المشي لأنه لا يُتصوّر، وإنما هو نهي عن نوع محدد من أنواع المشي وهو مشية المرح، فإسناد المرح إلى المشي من باب المجاز العقلي، «...وإنّما أُريدَ: لا تمرح في الأرض مرحا، ففَسَّر بالمرح المعنى المراد من قوله: ﴿ وَلا تَمْشِ﴾... »[2].

3-3- التوسط والاعتدال:

ويُفهم من توالي النهيين في الآية رقم (29) في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً اِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾، فهذه الآية تتحدث عن كيفية الإنفاق، وفيها نهيان حقيقيان؛ نهي عن الإمساك الشديد، ونهي عن الإنفاق المبالغ فيه دون حساب، ويُفهم من هذا الأمر بالتوسط والاعتدال في الإنفاق، وهو حد الاقتصاد. وهذا المعنى لا يتأتّى من أحد النهيين دون الآخر، وإنما يتولد من كليهما.

كما أن في النهيين استعارة تمثيلية ،« ... حيث مثّل للبخيل بالذي حبَس يده عن الإعطاء، وشُدّت إلى عنقه بحيث لا يقدر على مدّها، وشبّه الإسراف ببسط الكف بحيث لا تحفظ شيئا»[3]، فالأول كناية عن شدة البخل، والثاني كناية عن شدة الإسراف، وهذه الصورة المتعددة الأوجه أخرجت ما هو معنوي في قالب حسي، فكان من التنفير من قُبح هذين النقيضين ما ترى.

وجملة ﴿ فَتَقْعُد مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾ تعليل لكلا النهيين، و « ... فيها ما يسمى بـ "اللّف والنشر المرتب "؛ فعاد لفظ (ملوما) إلى البخل، ولفظ (محسورا) إلى الإسراف، أي: يلومك الناس إن بخلت، وتصبح مقطوعا إن أسرفت »[4]، وفيه من نظم الألفاظ بحسب المعاني ما يُمتع ويُقنع.

---

[1] الألوسي، روح المعاني، ج15، ص75.

[2] الطبري، جامع البيان ، ج14، ص598.

[3] محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص163.

[4] المرجع نفسه، ص165،166.

3-4- التأكيد والمبالغة:

في الآية رقم (26) في قولـــه تعالى ﴿ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴾، « وذكرُ المفعـــول المطلق ﴿ تَبْذِيراً ﴾ بعد (ولا تبذّر) لتأكيد النهي، كأنه قيل: (لا تبذّر، لا تبذّر)، مع ما في المصدر من استحضار جنس المنهي عنه، استحضارًا لما تُتَصوّر عليه تلك الحقيقة بما فيها من المفاسد، وجملة ﴿ إِن ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ ﴾ تعليل للمبالغة في النهي عن التبذير »[1]. وسبب التأكيد و المبالغة هو تنبيه المخاطب إلى أن كل أنواع التبذير منهي عنها لما فيها من المفاسد، كصرف نعمة الله في غير الوجه المطلوب، فينتج عن ذلك ضرر بالأشخاص، وبالمبذّر نفسه، وجحود منه لنعمة الله بإهدارها. ولو لم يكن المفعول المطلق لما كان هذا المعنى، إضافة إلى دوره في تقارب الفواصل بين الآية التي قبلها والآية التي بعدها (غفورًا، تبذيرًا، كفورًا).

وفي الآية رقم (33) في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلْحَقِّۗ ﴾، «... أكّد مقتضى النهي بوصف النفس بقوله: ﴿ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾، والتحريم هو المنع، فحرّم الله، معناه: منع الله، والتقدير: حرّم الله قتلها، فحُذف لدلالة ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ ﴾ عليه، فالمنهي عنه هو القتل، والمحرّم هو القتل، فتأكّد المنع بالنهي والتحريم »[2]. وهذا أبلغ من مجرد النهي، كما لو قال: (ولا تقتلوا النفس إلا بالحق)، والسبب في هذه المبالغة في التأكيد أن العرب في الجاهلية كانوا يستخفُّون بقتل النفس، فكان هذا الأسلوب في الكلام هو الأنسب مع حالهم تلك. واستُثني من بين القتل، القتل بالحق، كقتل القاتل، والزاني المحصَن، والتارك لدينه. ومعنى ذلك أن القتل المنهي عنه هو القتل بالباطل، أي ما كان عدوانا وظلما، بتسلطه على نفس لا تستحق القتل، وهي التي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾، بذكر لفظ التحريم "حرَّم"، ولفظ الجلالة "الله"، من باب التأكيد والمبالغة في النهي.

كما نلتمس معنى التأكيد في الآية رقم (110) في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾، فتوالي النهيين عن الجهر بالصلاة

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص80.

[2] عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، ج1، ص246.

والمخافتة بها، يدل –لوحده– على معنى الأمر بالتوسط والاعتدال في مستوى الصوت في القراءة أو الدعاء، وتأكد هذا المعنى بالأمر في جملة: ﴿ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾، مع أن المعنى تامٌّ بأسلوب النهي. وسبب هذا التأكيد هو الاعتناء بشأن إقامة الصلاة، بعد أن ذَكَر وقت إقامتها في الآية رقم (78) من السورة نفسها، في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾.

والجهر لا يكون بالصلاة وإنما بالقراءة أو الدعاء، وكذلك المخافتة، لأنهما صفتان للصوت، فـ « ... المراد بالصلاة القراءة التي هي أحد أجزائها مجازا، ويجوز أن يكون الكلام على تقدير مضاف، أي: بقراءة صلاتك... »[1]. وكونه مجازًا يقتضي أن يكون مجازًا مرسلاً علاقته جزئية؛ حيث ذَكَر الكُلَّ وهو (الصلاة)، وأراد أحد أجزائه وهو (القراءة).

وتقديم الجهر على المخافتة هو تقديم للأصل على الفرع، أو العام على الخاص، بحسب المعنى الواقعي، لأن الأصل في الكلام العادي للإنسان هو الجهر، والمخافتة صفة طارئة عليه، وفي هذا من البلاغة ما يجعل الكلام ينساب كالماء العذب، ويَشي بحقيقة الأمور.

ومثل هذا الترتيب البديع للألفاظ بحسب المعاني نجده أيضا في الآية رقم (23) في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾، « فنُهي عن التفوُّه بأقل كلمة تدل على التضجُّر، وهي كلمة أُفّ... فأحرى وأولى ما فوقها »[2]. ثم نُهي عن نهرهما، والنّهر «... إغلاظٌ في اللفظ والصوت وحالة الكلام »[3]، فكان هذا ترتيبا من الأدنى إلى الأعلى، بذكر التأفُّف في حالة الضجر أولاً، ثم إردافه بالزّجر في حالة الكلام، ولَعَمرُك إنه لأدقُّ في المعنى، وأسْلبُ للفهم.

ومع أنّ النهي عن التأفُّف– وهو أقل الأذى– يُغني عن ذكر ما فوقه– كما سبق في تفسير الآية– بدلالة فحوى الخطاب، إلا أنه « خصّ بالذكر النهي عن النّهر للاعتناء

---

[1] الألوسي، روح المعاني، ج15، ص194.

[2] عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير ، ج1 ، ص 199

[3] المرجع نفسه ، ص 200

بشأنه، ولذا رُوعي هذا الترتيب »[1]، وفي هذا من المبالغة في الاعتناء بشأن الوالدين ما لا يخفى. وأكّد ذلك بالأمر بعد النهيين قي قوله: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾؛ أي قولا ليّنا جميلا حسنا، يفرحهما ويدخل السرور إلى قلبيهما.

ويتضح معنى المبالغة في التأكيد أيضا في الآية رقم (32) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾، «...والقُرب المنهي عنه هو أقل الملابسة، وهو كناية عن شدة النهي عن ملابسة الزنا...» وجملة ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ﴾ تعليل للنهي عن ملابسته تعليلا مبالغا فيه من جهات؛ بوصفه بالفاحشة الدال على فَعلة بالغة الحد الأقصى في القُبح، وبتأكيد ذلك بحرف التوكيد، وبإقحام فعل (كان) المؤْذِن بأن خبره وصفٌ راسخٌ مستقرٌ »[2]. فقوله جلّ وعلا: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾ أبلغ من (ولا تزنوا)، لأن النهي عن قُربان الزّنا هو نهيٌ عن مباشرة أسبابه ودواعيه، فضلا عن مباشرته هو.

ويتكرر النهي عن القُربان في الآية رقم (34) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾، وهي « مبالغة في النهي عن التصرف في مال اليتيم إلا بالطريقة التي هي أحسن، وهي حفظه واستثماره بالتجارة ونحوها، وهذا إلى غاية نضجه جسديا وعقليا، لأن اليتيم ضعيف، ولما كانت النفوس أطمع في ماله، فُهم من الآية أن العناية به أوكد، والعقوبة على التصرف فيه بالباطل أشدُّ »[3].

3-5- أغراض أخرى :

وهناك آيات تتراوح فيها المعاني بين معنى "الإلهاب والتهييج"، أي الحث على الدوام والاستمرار على ترك الفعل، ومعنى "التفظيع والتهويل"، ومعنى "الوعيد"، وهي الآيات التي يصح أن يكون الخطاب فيها موجها للنبي- صلى الله عليه وسلم- ومنها:

الآية رقم (36) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾، « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك

---

[1] الألوسي، روح المعاني ، ج15، ص55.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص90.

[3] ينظر: المرجع السابق ، ج15، ص70، ومجالس التذكير، ج1، ص252.

به، فترميهم بالباطل، وتشهد عليهم بغير الحق، فذلك هو القفْوُ »[1]. وهذا المعنى متحقق في النبي- صلى الله عليه وسلم- وإنما كان نهيه عنه لحثه على الدوام والاستمرار والثبات على ذلك، وهو نهي لغيره من باب الأولى، وبيان لما عليه الفعل المنهي عنه من الفظاعة والبشاعة، بحيث يُنهى عنه من لا يُتصوّر أن يقع منه أصلا.

الآية رقم (22) وهي قولـه تعالى: ﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً ﴾، وفيها نهي عن الشرك، « ومن المعلوم أن النبي- صلى الله عليه وسلم- نابذٌ للشرك أصلا، فيكون المقصود من نهيه هو نهي غيره من المشركين والتعريض بهم، من حيث دوام ذَمّهم وخذلانهم ما داموا على شركهم، وهو ما تؤكده كلمة (تَقعُد) التي تعني البقاء والمكث »[2]، وفي هذا حثٌّ للنبي- صلى الله عليه وسلم- على الثبات على التوحيد، وتفظيعٌ وتهويلٌ لأمر الشرك في نظر المخاطبين لتنفيرهم منه.

الآية رقم (39) وهي قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً ﴾، وفيها « عطف على جُمل النهي المتقدمة، وهذا تأكيد لمضمون جملة (ألا تعبدوا إلا إياه)، أُعيد لقصد الاهتمام بأمر التوحيد بتكرير مضمونه، وبما رتّب على الشرك من الوعيد بأن يُجازى صاحبه بالخلود في النار مُهانا »[3]. فزيادة على معنى التفظيع والتهويل- كما في الآيتين السابقتين- نجد معنى الوعيد المستفاد من اقتران النهي بجملة ﴿ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً ﴾، « وفي إيراد الإلقاء مبنيا للمفعول جَرْيٌ على سُنن الكبرياء، وازدراء بالمشرك، وجعْلٌ له كخشبة يأخذها من كان فيُلقيها في التنُّور...»[4].

والملاحظ أن النهي عن الشرك قد تكرر في الآيتين (22) و(39) بلفظه ومعناه، وليس ذلك عبثاً، فالفرق بينهما في عاقبة المشرك، وهو ما حدّدته بدقة الجملتان اللتان جاءتا بعد النهيين مباشرة، وهما على الترتيب: ﴿ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً ﴾ و﴿ فَتُلْقَىٰ

---

[1] الطبري، جامع البيان ، ج14، ص596.

[2] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص64.

[3] المرجع نفسه، ص106.

[4] الألوسي، روح المعاني، ج15، ص77.

﴿جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً﴾، و«... الفرق بين المذموم والملوم، أن المذموم هو الذي يُذكر أن الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنكر، والملوم هو الذي يُقال له: لم فعلت مثل هذا الفعل، وما الذي حملك عليه، وما استفدت منه إلا إلحاق الضرر بنفسك ؟ ومن هذا يُعلَم أن الذّم يكون أولا، واللوم آخرا. والفرق بين المخذول والمدحور، أن المخذول عبارة عن الضعيف... والمراد به من تُركت إعانته وفُوّض إلى نفسه، والمدحور، المطرود، والمراد به المهان والمستخَفُّ به»[1]. ومعنى ذلك أن المشرك مذموم مخذول في الدنيا، فجاء ذلك أولا، وملوم مدحور في الآخرة، فجاء ذلك آخرا، وهذا ترتيب دقيق للألفاظ بحسب ترتيب المعاني التي يقتضيها الحال والمآل.

وقد ذكرنا من قبل أن أغلب أساليب النهي في سورة الإسراء وردت بين الآيتين (22) و(39) اللتان تنهيان عن الشرك، وهذا التكرار في البداية والنهاية دليل على عِظَم قُبْح الشرك، وتنفير منه ببيان عاقبة صاحبه في الدنيا والآخرة، وهو في نفس الوقت دلالة على أهمية التوحيد الذي هو مبدأ الأمر ومنتهاه، والعُروة الوُثقى التي يستمسك بها العبد لأداء بقية التكاليف الشرعية المذكورة في الآيات.

وخلاصة القول أن أساليب النهي في سورة الإسراء تضُجُّ بالمعاني البلاغية المتذوَّقة من الأسلوب ككل، بما يحمله من تعليل أو تأكيد أو وصف ، وكون معنى النهي حقيقيا لا يمنع من توشيحه بمعنى بلاغي أو أكثر يزيده تأكيدا وتأثيرا، فكلاهما تَبَعٌ لمقام التخاطب، منه ينطلقان، وإليه يعودان، وما ذكرناه في هذه الأوراق مجرّد إضاءات لما عليه أسلوب النهي– في سورة الإسراء– من بلاغة.

[1] مرجع سابق، الصفحة نفسها.

نُوردُ فيما يلي الآيات التي تتضمّن أغلب أساليب النهي في سورة الإسراء مجتمعةً، لتدبُّر ما فيها من جلال المعنى و جماله، والتمتُّع بما يُحدثه تقارب الفواصل وتناسبها من الحُسن المؤثّر في النّفس.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ لاَّ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوۤاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّٰبِينَ غَفُوراً ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوۤاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً ﴿٢٨﴾ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴿٣٠﴾ وَلاَ تَقْتُلُوۤاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً ﴿٣١﴾ وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً ﴿٣٣﴾ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴿٣٦﴾ وَلاَ تَمْشِ فِي ٱلأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً ﴿٣٩﴾ ﴾ (سورة الإسراء: الآيات:22-39)

خاتمة

وبعدُ، فهذا جَهد المُقِلّ في استفراغ ما في جُعْبة أسلوب النهي من المعاني وطرق الأداء، وليس لأحد أن يدّعي الإحاطة بهذا الموضوع وسَبْر أغواره، اعتمادًا على ما يُلَوّح به ظاهره من البساطة ومحدودية المعالجة، لأن أسلوب النهي أعمق من ذلك بكثير، فهو– مع الأمر– أقوى في الدلالة على الطلب من باقي الأساليب الإنشائية، وهذا ما يجعله أكثر تعلُّقا بالأحكام الشرعية التي هي أساس التكليف .

وسواء تعلق الأمر بمعناه الحقيقي أم بأغراضه البلاغية، يبقى لأسلوب النهي في القرآن الكريم ما يميّزه عن غيره من الكلام، كما أن له ما يشاركه فيه. وقد كان لهذه الدراسة إطلالة بلاغية على أسلوب النهي عمومًا، وفي سورة الإسراء على وجه الخصوص، فخَلُصت إلى أنّ:

- النهي هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله صيغة واحدة وهي " لا " الناهية مع المضارع المجزوم، وهي حقيقة في التحريم، وتَرِدُ مع ضمائر المخاطب نحو: (لا تفعلْ)،و أحيانا مع ضمير الغائب نحو: (لا يفعلْ فلان).
- كل صيغ النهي في سورة الإسراء – تقريبا–جاءت مع ضمير المخاطب، لأن ذلك هو الأصل والمتداول، وقد اختلفت هذه الصيغ بين مخاطبة ضمير المفرد المذكر وضمير الجمع المذكر، لتصيب معان دقيقة تناسب مقام التخاطب، ولتُنَشّط الأذهان وتسلُب الأفهام.
- معنى النهي لا يكون حقيقة في التحريم إلا إذا توفرت فيه خمسة شروط وهي: العلو أو الاستعلاء، والإرادة، والزمان، والإمكان، والمصلحة. وأغلب هذه الشروط مقامية، لأنها متعلقة بالمتكلم والمخاطب بالدرجة الأولى.
- الأغراض البلاغية للنهي تدل عليها صيغة النهي في المقام الأول ،و يدل عليها أسلوب النهي ككل، وقد جاء أكثرها في سورة الإسراء من نصيب دلالة الأسلوب.
- معنى النهي يحتمل ثلاثة أوجه: فإما أن يكون حقيقيا صِرْفا، أو حقيقيا مخالطا لمعنى بلاغي، أو بلاغيا صِرْفا مع بقاء معنى طلب الترك قائما، وأغلب النواهي في سورة الإسراء من الوجه الثاني.
- حقيقة النهي في القرآن الكريم تختلف عن غيرها في كلام البشر، من جهة أن الناهي واحد وهو الله سبحانه وتعالى، الكبير المتعال، والعالم بما تقتضيه سعادة العباد في

الدنيا و الآخرة ، فجاء النهي في سورة الإسراء مراعيا لهذه المقتضيات، ومُخرجًا العباد من الظلمات إلى النور، و هذا سرٌّ من أسرار بلاغته.

- شرط " العلو" مُتحقّقٌ في النواهي القرآنية ، أمّا في غيرها فيمكن أن يغيب ، و في هذه الحالة لا بدّ أن يُعوّضه شرط "الاستعلاء" حتى يبقى النهي مُحافظا على معناه الحقيقي.
- من أهم مقاصد النهي في سورة الإسراء الدعوة إلى التوحيد، والتمسك بالفضائل، والابتعاد عن الرذائل، للوصول بالمكلفين إلى أعلى درجات الكمال البشري، وهذا ما جعل معانيه تجنح إلى الحقيقة، وهي أبلغ ما تكون في ذلك.
- مجيء النهي بمعناه الحقيقي في سورة الإسراء، لم يمنع من تَوشُّحه بمعان بلاغية زادته تأكيدًا وتأثيرا، كالتّهكُّم، والتوسط والاعتدال، والمبالغة، والتهويل، والوعيد... إلخ، وهي معانٍ استُفيضت من المعنى الحقيقي ليبلغ منتهاه.
- توالي النهي في الآية الواحدة أو في آيات متتالية كان له دور كبير في قوة الأسلوب وجماله وشدة تأثيره، حيث ولّد معان بلاغية، وأحدث تناسبا وانسيابا بين معاني الآيات، وسلّط الضوء على نُكت ولطائف بلاغية دقيقة المسلك، وهذه مَزِيّة في الأسلوب القرآني ناشئة عن طول أغراضه وشدة تماسكها، في مقابل قصر أغراض غيره من الكلام وقلّة تماسكه.

هذا، ويبقى لأسلوب النهي في سورة الإسراء وقْعٌ خاص في النفس، بما يحمله من النظم الجميل، والمعنى الجليل، والذوق الأصيل، فهو كلام ربّ العزة الآمر بالعدل والإحسان، والناهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، والهادي إلى سبيل الرشاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش

أولا: المصادر والمراجع:

1- أحمد مصطفى المراغي:علوم البلاغة –البيان والمعاني والبديع–، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط3، 1414هـ–1993م.

2- الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج15، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، (د.ط)، (د.ت) .

3- بدوي أحمد طبانة: معجم البلاغة العربية، دار المنارة للنشر والتوزيع – جدة، دار الرفاعي للنشر والطباعة و التوزيع –الرياض، ط3، 1408هـ–1988م.

4- بسيوني عبد الفتاح فيود: علم المعاني– دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني –، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1436هـ–2015م.

5- بكري شيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد –علم المعاني–، ج1، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط6، 1999م.

6- بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج1، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ط1، 1423هـ–2003م.

7- حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة –مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، دار الآفاق العربية، نصر– القاهرة، ط1، 1428هـ–2007م.

8- حنفي ناصف وآخرون: دروس البلاغة، شرح: فضيلة الشيخ العلامة اللغوي محمد بن صالح العثيمين– رحمه الله –، إعتنى به: محمد بن فلاح المطيري، مكتبة أهل الأثر، الرحاب– الكويت، ط1، 1425هـ–2004م.

9- الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه و شرحه: عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط2، 1350هـ–1932م.

10- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ–1998م

11- الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، إعتنى به و خرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط3، 1430هـ–2009م.

12- السّعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، تقديم: محمد بن صالح العثيمين وبكر بن عبد الله أبو زيد، مؤسسة زاد للنشر والتوزيع، خلف جامع الأزهر، ط1، 1433هـ-2012م.

13- السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1407هـ-1987م.

14- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، (د.ط)، (د.ت).

15- صباح عبيد دراز: الأساليب الإنشائية و أسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، شبرا-مصر، ط1، 1406هـ-1986م.

16- الطبري: تفسير الطبري -جامع البيان عن تأويل آي القرآن-، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج14، ج15، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1422هـ-2001م.

17- عبد الحميد بن باديس: تفسير بن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق: أبو عبد الرحمان محمود، ج1، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، ط1، 1430هـ-2009م.

18- عبد العزيز عبد المعطي عرفة: من بلاغة النظم العربي -دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني-، ج2، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1405هـ-1984م.

19- عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 1430هـ-2009م.

20- عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج1، ج2، مكتبة الآداب، القاهرة، 1420هـ-1999م، (د.ط).

21- ابن عطية الأندلسي: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1422هـ-2001م.

22- **علي الجارم ومصطفى أمين:** البلاغة الواضحة -البيان والمعاني والبديع-، دار المعارف، (د.ط)، (د.ت) .

23- فضل حسن عباس: البلاغة فنونها و أفنانها –علم المعاني–، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، إربد–الأردن ،ط2، 1409هـ–1989م.

24- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج3، دار الحديث، القاهرة، 1432هـ–2011م، (د.ط).

25- محمد أحمد قاسم و محي الدين ديب: علوم البلاغة –البديع و البيان و المعاني–، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس–لبنان، ط1، 2003م.

26- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج1، ج15، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، (د.ط).

27- محمد حسين سلامة: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1423هـ–2002م.

28- محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان، الجيزة–مصر، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1994م.

29- محمود توفيق محمد سعد: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1413هـ–1993م.

30- أبو مصطفى البغدادي: نيل المنى شرح قطر الندى، 2013م.

31- مصطفى الصاوي الجويني: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1985م، (د.ط).

32- ابن الناظم: المصباح في المعاني والبيان والبديع، ط1، 1409هـ–1989م.

ثانيا: الرسائل و الأبحاث الجامعية:

33- أم الخير سلفاوي: البعد التداولي في البلاغة العربية من خلال"مفتاح العلوم" للسكاكي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، تخصص: علوم اللسان العربي والمناهج الحديثة، إشراف: د/ أحمد بلخضر، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة–الجزائر، 2009م.

34- بابكر عابدين بابكر خلف الله: الأمر والنهي ودلالتهما البلاغية في سورة البقرة، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في علم البلاغة، إشراف الدكتور: هاشم علي صالح، جامعة الرباط الوطني، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، 1438هـ–2017م.

35- خالد بن محمد بن عويد القناوي: صيغ الأوامر والنواهي ودلالتها الأصولية في سورة النور، بحث فصلي، إشراف الأستاذ الدكتور: صالح بن سليمان العبيد، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، الجامعو الإسلامية، كلية الشريعة، الفصل الدراسي الثاني، 1435-1436هـ.

36- عبد الحميد دايم: الأمر والنهي وأثرهما في الأحكام الشرعية ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص: لغة ودراسات قرآنية، إشراف: أ/د. سيب خير الدين، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، قسم العلوم الإنسانية، شعبة العلوم الإسلامية، السنة الجامعية: 1433-1434هـ/2012-2013م.

37- يوسف عبد الله الأنصاري: أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم و أسرارها البلاغية، بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد، إشراف الأستاذ الدكتور: صباح عبيد دراز، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا العربية ، فرع البلاغة والنقد ، 1410هـ-1990م.

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

38. المكتبة الإسلامية، الآداب الشرعية والمنح المرعية، Islamweb.net

فهرس المحتويات

مقدمة	**أ – ج**
مدخل: البلاغة والأسلوب القرآني	**04**
الفصل الأول :أسلوب النهي و أغراضه البلاغية	**11 –33**
1– مفهوم النهي	**12**
1–1– تعريفه	12
1–1–1– لغة	12
1–1–2– اصطلاحا	13
1–2– صيغته	17
2–شروط إجراءالنهي على معناه الحقيقي	20
2–1– العلو والاستعلاء	20
2–2– الإرادة	21
2–3– الزمان	22
2–4– الإمكان	24
2–5– المصلحة	25
3– الأغراض البلاغية لأسلوب النهي	**27**
3–1– الدعاء	28
3–2– الالتماس	28
3–3– التمني	28
3–4– التهديد	29
3–5– التحقير	29
3–6– الإلهاب والتهييج	29
3–7– الشفقة	30
3–8– التسوية	31
3–9– التوسط والاعتدال	32
الفصل الثاني: بلاغة أسلوب النهي في سورة الإسراء	**34–55**
1– صيغ النهي في السورة	35

1-1- سورة الإسراء	35
1-2- صيغ النهي	36
2- شروط إجراء النهي على معناه الحقيقي في السورة	**42**
2-1- العلو	44
2-2- الإرادة	44
2-3- الزمان	46
2-4- الإمكان	46
2-5- المصلحة	47
3- الأغراض البلاغية لأسلوب النهي في السورة	48
3-1- التسوية	48
3-2- التهكم	48
3-3- التوسط والاعتدال	49
3-4- التأكيد والمبالغة	50
3-5- أغراض أخرى	52
الآيات من 22 إلى 39 من سورة الإسراء	55
خاتمة	**56**
قائمة المصادر والمراجع	**59**

ملخص:

أسلوب النهي في القرآن الكريم يختلف عن غيره في كلام العرب، وهو ما سعى هذا البحث لتوضيحه في "سورة الاسراء"، من خلال المعنى الحقيقي للنهي، والذي هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء مع الإلزام. وهذا المعنى لا يتحقق إلى بتوفر خمسة شروط هي:(العلو والاستعلاء، الإرادة، الزمان، الإمكان، المصلحة)، فإذا تخلف أحدها، خرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معان بلاغية، تُفهم بمعونة السياق وقرائن الأحوال. على أن النهي في "سورة الإسراء" قد أفاد معان بلاغية مع الحفاظ على معناه الحقيقي، وذلك في ظلّ أسلوب يُراعي مقام التخاطب، فيُعلّل ويُؤكّد ويصفُ، انطلاقا من النهي ورجوعا إليه، ليُمْتع ويُقْنع ويُصْلح.

الكلمات المفتاحية: أسلوب، النهي، المعنى الحقيقي، معاني بلاغية، مقام التخاطب.

Summary:

The method of prohibition in the Noble Qur'an differs from others in the words of the Arabs, and this is what this research sought to clarify in Surat al-Israa, through the true meaning of the prohibition, which is a request to stop the act in the form of arrogance and obligation. This meaning is not achieved until five conditions are met: (elevation and superiority, will, time, possibility, and interest). If one of them fails, the prohibition deviates from its true meaning into rhetorical meanings that are understood with the help of context and circumstantial evidence. However, the prohibition in Surat Al-Israa has benefited rhetorical meanings while preserving its true meaning, and that is in a manner that takes into account the position of discourse, is explained, affirmed and described, starting from the prohibition and referring to it, so that it is enjoyable, persuaded and reconciled.

Key words: style, prohibition, true meaning, rhetorical meanings, maqam of discourse.